ييجور بوليتشوف
وآخرون

(مشاهد)

كتب غوركي مسرحيــة «ييجور بوليتشوف وآخرون» في عام ١٩٣١ . مثلت المسرحية للمرة الاولى على كل من مسرح فاختانغوف الحكومي في موسكو ومسرح بولشوي الدرامي في لينينغراد في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ .

الشخصيات

ييجور بوليتشوف .
كسينيا (أكسينيا) – زوجته .
فارفارا (فاريا) – ابنته من كسينيا .
ألكسندرا (شورا) – ابنة غير شرعية لييجور .
ميلانيا (مالاشا) – رئيسة دير ، أخت زوجته .
أندريه زفونتسوف – زوج فارفارا .
ستيبان تياتين – ابن عم زفونتسوف
موكى باشكين .
فاسيلي (فاسيا) دوستيجاييف .
إيليزافيتا (ليزا) – زوج دوستيجاييف .
انطونينا (تونيا) } طفلا دوستيجاييف من زوجته الأولى .
الكسي
بافلين – كاهن .
طبيب .
نافخ بوق .
زوبونوفا – عرّافة .
بروبوتي (بروكوبي المقدس) – نصف مجنون .
جلافيرا (جلاشا) – خادمة .

تاييسيا – خادمة ميلانيا ، راهبة مبتدئة .

موكرووسوف – شرطي .

ياكوف (ياشا) **لابتيف** – ابن بوليتشوف في العماد .

دونات – حارس غابة .

الفصل الأول

غرفة الطعام في دار تاجر غني في يوم شتوي مشرق . الأثاث فخم ضخم . والى جانب متكأ وثير عريض من الجلد سلَّم يقود الى الطابق الثاني . وفي الزاوية ، الى اليمين ، نافذة كبيرة تطلُّ على الحديقة . كسينيا جالسة الى المائدة تنظف بعض الأقداح والملاعق . جلافيرا تقف الى جانب النافذة تصفف الأزهار . ألكسندرا (شورا) تدخل الغرفة ، مرتديــة ثياب النــوم ، وقدماها العاريتان مغروزتان في خفيْها ، وشعرها مرســل غير معقوص ، أحمر اللون ، مثل شعر ييجور بوليتشوف .

كسينيا : أنت عظيمة في النوم ، يا شورا . . .

شورا : كفاك تفحين ، فذلك لا يفيد على الاطلاق . جلاشا — شيئا من القهوة ! أين الجريدة ؟

جلافيرا : صعدتُ بها الى فارفارا ييجوروفنا .

شورا : أنزليها اذن . لديهم صحيفة واحدة للمنزل بأسره ، أولئك الشياطين !

كسينيا : من هم الشياطين ؟

شورا : هل والدي في الدار ؟

كسينيا : خرج لزيارة الجرحى . مــن هم الشياطين — آل زفونتسوف ؟

شورا : نعم . (على الهاتــف) واحد ، سبعة ، ستة ، ثلاثة .

كسينيا : انتظري . لسوف أخبر آل زفونتسوف بأية أسماء تنعتينهم !
شورا : هلاّ ناديتم تونيا على الهاتف !
كسينيا : لن ينتهي سلوكك هذا بخير !
شورا : أهذا أنت ، يا أنطونينا ؟ هل سنذهب للتزحلق على الجليد ؟ كلا ؟ لماذا ؟ المسرح ؟ ألا تختلقين عذرا ؟ أوه ، أنت أيتها الأرملة غير الشرعية ، أنتِ ! أوه ، حسناً !
كسينيا : كيف تلقبين الفتاة بأرملة ؟
شورا : ألم يمت خطيبها ؟
كسينيا : ومع ذلك فهي لا تزال بنتاً .
شورا : وما أدراك ؟
كسينيا : آه منك ، أيتها العديمة الحياء !
جلافيرا (تقدم القهوة) : ستأتي فارفارا ييجوروفنا نفسهـــا بالصحيفة .
كسينيا : أنت تعرفين الكثير وما يزيد بالنسبة الى عمرك . ألا فاحذري – فكلما قلّت معرفتك تحسّن نومك . لم أكن أعرف شيئاً يوم كنت في مثل سنك . . .
شورا : وما زلت حتى الآن . . .
كسينيا : أنت مقرفة !
شورا : هذه شقيقتي قادمة بوقار تام . بون جور مدام ! كومان سافا ؟ *

* صباح الخير ، كيف حالك ؟ (بالفرنسية) . **المعرب** .

فارفارا : انها الحادية عشرة ، وأنت لم ترتدي ثيابك بعد ، ولم تسرحي شعرك . . .
شورا : هأنتذي تنعبين ثانية .
فارفارا : تزدادين وقاحة لأن الوالد يدللـــــك ، ولأنـــه مريض . . .
شورا : وهل ستستمرين على هذا المنوال طويلاً ؟
كسينيا : وما يعنيها من أمر صحة والدها ؟
فارفارا : سوف أضطر الى اخباره عن سلوكك . . .
شورا : شكراً سلفاً . هل انتهيت ؟
فارفارا : أنت حمقاء !
شورا : أنت مخطئة . فلست أنا الحمقاء .
فارفارا : أيتها البلهاء الشقراء !
شورا : أنت تبددين جهودك عبثاً ، يا فارفارا ييجوروفنا .
كسينيا : لا فائدة ترجى من محاولة تهذيبها !
شورا : ان خلقك ليسوء أيضاً .
فارفارا : أوه ، لا بأس ، لا بأس ، يا عزيزتي ! أمـــاه ، فلنذهب الى المطهى . فالطاهي أخذته نوبة غضب من جديد . . .
كسينيا : انه قلق البال ، فقد قُتل ولده .
فارفارا : حسناً ، ليس هذا بسبب كاف لتتملكـــه ثورات الغضب . ان العديــــد من الناس يقتلون في هـــذه الأيام . . .

(تخرجان)

شورا : آه لسوف تتعرض لنوبـــة ان قتلوا عزيزهـــا أندريوشا !

جلافيرا : اية فائدة ترجين من اغاظتها على هذا الشكل ؟ اشربي قهوتك بسرعة ، فيجب أن ارتب المكان . (تخرج ، حاملة السماور .)

(تجلس شورا على المقعد وتستند بظهرها اليه وقد أغلقت عينيها ، وشبكت يديها خلف رأسها الأحمر .)

زفونتسوف (يهبط الدرج على مهله وقد لبس خفيـــه ، يتلصص حذراً مقترباً من شورا من الخلف ويعانقها) : بمَ كنت تحلمين ، أيتها القطة الحمراء ؟

شورا (من غير ان تفتح عينيها او تتحرك) : لا تلمسني .

زفونتسوف : ولمَ لا ، انت تحبين هذا ، أليس كذلك ؟ قولي نعم . أتحبينه ؟

شورا : كلا .

زفونتسوف : ولمَ لا ؟

شورا : دعك من هذا . أنت تدعي ذلك فقط . فأنا لا أعجبك اطلاقاً .

زفونتسوف : ولكنك تريدين ان تعجبيني ، أليس كذلك ؟

(تظهر فارفارا على السلم .)

شورا : اذا اكتشفت فارفارا . . .

زفونتسوف : هس ! (يتحرك مبتعداً ، ويتحدث بلهجة ارشادية تعليمية .) هِمْ . . . نعم أنت . . يجب ان تستجمعي قواك . يجب أن تدرسي . . .

فارفارا : هي تفضل أن تكون وقحة فظة ، وان تلهو بنفخ فقاعات من الصابون مع أنطونينا . . .

شورا : حسناً ، ولم لا أفعل ؟ انني أحب نفخ الفقاعات . هل تأسفين على الصابون ؟

فارفارا : انا آسفة من أجلك . لا أستطيع ان أتصور كيف ستعيشين . لقد طردت نهائياً من المدرسة الثانوية . . .

شورا : ليس هذا صحيحاً .

فارفارا : ورفيقتك نصف مجنونة .

زفونتسوف : انها تريد دراسة الموسيقى .

فارفارا : مَنْ ؟

زفونتسوف : شورا .

شورا : ليس هذا صحيحاً . لا أريد دراسة الموسيقى أبداً .

فارفارا : من أين جئت بهذه المعلومات ؟

زفونتسوف : أفلم تخبريني ، يا شورا ، أنك تودين ذلك ؟

شورا (وهي خارجة) : أنا لم أقل شيئاً من هذا القبيل .

زفونتسوف : هم . . . غريب . وأنا لم أختلق ذلك ! أنت شديدة القسوة في معاملتها ، يا فاريا .

فارفارا : وأنت كثير اللطف والتودد .

زفونتسوف : ماذا تعنين بقولك «كثير اللطف والتودد» ؟ انت تعرفين ما هي خطتي ، الا تعرفين ؟

فارفارا : لا أقول شيئاً عن خطتك ، انما يبدو لي أنك كثير اللطف والتودد الى درجة تثير الريبة .

زفونتسوف : أية حماقات تتسلط على رأسك !

فارفارا : حماقات ، ها ؟

زفونتسوف : فكري في هذا بنفسك . هل تناسب مشاهد الغيرة في مثل هذه الأوقات الخطيرة ؟

فارفارا : لماذا نزلت الى هنا ؟

زفونتسوف : أنا ؟ ثمة . . . اعلان هنا في الجريدة . وقد جاء حارس الغابة ، وهو يقول ان الفلاحين حاصروا دباً .

فارفارا : ان دونات في المطهى . ماذا يقول الاعلان ؟

زفونتسوف : لقد طفح الكيل ! انا لا أحب لهجتك ! من تحسبينني – أأنا طفل صغير ؟ يا للعنة !

فارفارا : كفاك ، كفاك ، لا تَثُرْ ! أعتقد أن والدي جاء الى الدار . هلّا نظرت الى هيئتك !

(يهرع زفونتسوف الى الطابق الثاني . وتخرج فارفارا لاستقبال أبيها . تسرع شورا الى الهاتف ، وهي ترتدي صديرية دافئة من الصوف الأخضر وقبعة خضراء . يدخل بوليتشوف فيقطع عليها الطريق ، ويضمها اليه في سكون . يدلف الأب بافلين ، مرتديا غفارة بنفسجية اللون ، الى الغرفة مقتفياً خطوات بوليتشوف .)

بوليتشوف (يجلس الى الطاولة وقد أحاط خصر شورا بذراعه ، بينا هي تسرح بأصابعها شعره النحاسي

اللون ببواكر الشيب فيه) : وهكذا شوهوا الكثيرين .
هذا شيء رهيب !

بافلين : كيف حالك ، يا شورا – تتفتحين وتزهرين ، على ما أرى ؟ اعذريني اذ لم أحيّك حينما دخلت . . .

شورا : كان من واجبي أنا ان أفعل ذلك ، أيها الأب بافلين . لكن والدي أمسك بي واحتضنني كالدب . . .

بوليتشوف : رويدك ، يا شورا ! أصغي ! ماذا يتوجب على هؤلاء الناس أن يفعلوا الآن ؟ لدينا كثرة من الناس الذين لا فائدة ترجى منهم حتى قبل الحرب . ما كان يجب أن نتدخل في هذه الحرب . . .

بافلين (وهو يصعد زفرة) : اعتبارات السلطات العليا . . .

بوليتشوف : كانت سياستنا سيئة جداً ازاء اليابانيين أيضاً ، وكانت النتيجة ان تعرضنا للعار أمام العالم أجمع . . .

بافلين : ولكن الحروب لا تسبب الدمار فحسب ، بل هي تغني المرء أيضاً – ان بالتجربة أو بال . . .

بوليتشوف : بعض الناس يقاتلون ، والآخرون يسلبون وينهبون .

بافلين : وخلاف هذا ، لا شيء في الحياة يحدث بدون ارادة اللّه – فأي مغزى نأمل من غمغماتنا ؟

بوليتشوف : والآن ، انظر إليّ ، يابافلين سافيلييف ، كُفّ عن هذه المواعظ . . . أكنت ذاهبة للتزلج على الجليد ، يا شورا ؟

شورا : نعم ، وأنا في انتظار انطونينا .

بوليتشوف : حسنا ! اذا بقيت هنا ، فسوف أناديك بعيد خمس دقائق .

(تخرج شورا راكضة)

بافلين : لكم كبرت هذه الصبية ! . . وغدت فتاة . . .
بوليتشوف : نعم ، هي بديعة التكوين ، خفيفـــة الحركـــة رشيقتها ، لكن وجهها يخيّب الأمل بعض الشيء . كانت أمها قبيحة . كانت ذكية كالشيطان ، لكن قبيحة .
بافلين : وجه ألكسندرا ييجوروفنا . . أخاذ . . و . . لا يخلو من فتنته الخاصة . من أين كانت أمها ؟
بوليتشوف : سيبيرية الاصـــل . انت تتحدث عن السلطات العليا . . وارادة اللّه . . والى آخر ما هنالـــك . حسناً ، وما رأيك بمجلس الدوما ؟ من أين جاءنا هذا ؟
بافلين : مجلس الدوما . . حسنا ، انه اذا جاز التعبير . . انقاص ذاتي للسلطة . وكثير من الناس ينظرون اليه على كونه غلطة قاتلة ، انما لا يليـــق بأحد خدام الكنيسة المقدسة ان يستقصي مثل هذه الأمور . وفيما عدا ذلك فانه يقع على عاتق اكليروس هذه الايام ان يضرموا روح الثبات والعزم . . . وأن يرعوا حب القيصر والوطن . . .
بوليتشوف : لقد اضرموا الحمية وذاقوا المنية . . .
بافلين : أنت تعلم اني اقنعت وكيل الكنيسة حيث أخدم بان يوسع جوقة المرتلين والمنشدين ، وكذلك تحدثت الى

الجنرال بيتلينغ بخصوص تبرُّع لصنع ناقوس للكنيسة الجديدة التى تشيَّد على مجد شفيعك القديس ييجور الطاهر . . .

بوليتشوف : وهو لم يعطك شيئاً ، فيما اعتقد ؟

بافلين : هو لم يكتف بالرفض ، بل روى نكتة غير محتشمة ، فقال : «أنا لا أطيق النحاس حتى في فرق الموسيقى العسكرية» . والآن ، ما قولك في الاكتتاب بشيء من المال من أجل الناقوس نظراً لانحراف صحتك ؟

بوليتشو (وهو ينهض) : رنين الناقوس لا يشفي الامراض .

بافلين : من يدري ؟ فالعلم لم يكتشف بعد الأسباب المؤدية الى كثير من الامراض . لقد سمعت أنهم يشفون بعض الأمراض بواسطة الموسيقى في بعض المصحات في الخارج . وكان ثمة إطفائي عندنا يسعف المريض بالعزف على البوق . . .

بوليتشوف (ضاحكاً) : أى صنف من الأبواق ؟

بافلين : بوق نحاسي . ويقولون انه بوق كبير تماماً .

بوليتشوف : حسناً ، بالطبع ، مادام البوق كبيراً . . . وهل كان ينجح ؟

بافلين : يقولون انه كان ينجح . كل شيء ممكن ، يا عزيزي ييجور فاسيليفيتش ! كل شيء ممكن ! اننا نحيا في الأسرار ، في حلكة عدد من أسرار غامضة لا حصر لها . ويبدو لنا أننا نرى نوراً وانه ينبثق من عقلنا ، لكنه لا يبدو نوراً الا بالنسبة الى بصرنا فحسب ، في حين

يمكن لعقلنا أن يعمل على اظلام روحنا ، ان لم يخمدها تماماً .

بوليتشوف (متنهداً) : آيْ ، ما أكثر ما تجيد الكلام !

بافلين (بحمية متزايدة) : خذ ، مثلاً ، بروكوفي الطاهر ؛ بأية غبطة عاش هذا الرجل ، وهو الذي يسميه الجهلة أحمق .

بوليتشوف : آه ، عدنا الى المواعظ ثانيا ! وداعاً ، فأنا متعب .

بافلين : مع أصدق تمنياتي لك بالصحة الجيدة . لسوف أصلي الى اللّه من أجلك . . . (يخرج)

بوليتشوف (يلمس جنبه الأيمن . ثم يخطو في اتجاه المتكأ ، وهو يزمجر) : ذلك الخنزير الضخم . . لقد سمن على حساب دم المسيح وجسده . . . جلافيرا ! هيه !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : ما بالك ؟

بوليتشوف : لا شيء . كنت أنادي جلافيرا فقط . آه . يا عزيزتي ، أراك متأنقة . الى أين أنت ذاهبة ؟

فارفارا : الى حفلة خيرية يرصد ريعها لمساعدة الجنود الناقهين . . .

بوليتشوف : وتضعين النظارات على أنفك أيضا ؟ كذب أن عينيك في حاجة اليهما ، الموضة . . .

فارفارا : يجب أن تتحدث الى ألكسندرا ، يا أبتِ ، فسلوكها مقيت . وهي لا تطاق في الحقيقة .

بوليتشوف : يا لكم من مجموعة رائعة ، أنتم جميعاً ! هيا ! (تخرج فارفارا . يهمهم بينه وبين نفسه) لا تطاق ! انتظروا حتى تتحسن صحتي ، فأريَّنكم اي شيء يحتمل ويطاق !

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : هل ناديتني ؟

بوليتشوف : نعم . آه ، يا جلاشا ، ما أجملك ! تتفجرين صحة وقوة ! اما فارفارا – فليست أكثر من فزّاعة !

جلافيرا (تربو الى السّلم) : هذا من حسن حظها . لو كانت جميلة الطلعة لما ترددت في جرّها الى فراشك هي الأخرى .

بوليتشوف : ابنتي أنا ؟ فكري فيما تقولين ، يا حمقاء !

جلافيرا : انني أعرف ما أقول ! أنت تهصر شورا وكأنها غريبة . . . مثل أحد الجنود تماماً !

بوليتشوف (معقود اللسان) : انت مجنونة ، يا جلافيرا ! أنت تغارين من ابنتي ، أليس كذلك ؟ اياك والتجاسر على الظن بشورا هكذا ! مثل احد الجنود . . . وكأنها غريبة ! هل صدف ووقعت أنت نفسك بين يدي جندي ؟ ايه ؟

جلافيرا : ليس هذا بالمكان المناسب . . ولا هو الوقـــت الملائم ، لمثل هذا الحديث . فيمَ دعوتني ؟

بوليتشوف : أرسلي دونات اليّ . مهلاً ! ناوليني يدك . انك تحبينني ، ها ؟ بالرغم من مرضي ؟

جلافيرا (تطوق عنقه بذراعيها) : آه ، انك تحطم قلبي . . لا تمرض بعد الآن ! أوه ، لا تمرض ! (تنتزع نفسها منه ، ثم تولي خارجة)

(يبتسم بوليتشوف ، رغم التقطيبة العبوس التى تعلـــو حاجبيه ، ويلحس شفتيه بلسانه ، ثم يهزُّ رأســـه ، ويضطجع على المتكأ . يدخل دونات)

دونات : كيف حالك ، يا ييجور فاسيليفيتش ! آمل ان تكون بخير وعافية .

بوليتشوف : شكراً . ما وراءك من أخبار ؟

دونات : أخبار طيبة . لقد حاصرنا دباً .

بوليتشوف (متنهداً) : آه ، هذا الخبر يثير غيرتي اكثر مـن فرحي . الدب لا يسليني في هذه الأيام . هل يقطعون الاشجار ؟

دونات : ليس كما ينبغي ، فليس لدينا ما يكفي من العمال .

(تدخل كسينيا ، متزينة بأبهى حللها ، وقد حمّلت أصابعها بالخواتم)

بوليتشوف : ما الأمر ؟

كسينيا : لا شيء . أرجو الا تفكر بأي صيد للدببة ، يا ييجور ، فحالك لا تسمح بذلك .

بوليتشوف : انتظري لحظة ! انتَ تقول انه ليس لدينا ما يكفي من العمال ؟

دونات : لم يبق غير الشيوخ والأطفال . لقد أعطي الأمير خمسين من أسرى الحرب ، ولكنهم لا يصلحون للعمل في الغابات .

بوليتشوف : أراهن انهم يصلحون للعمل مع النساء ، مع ذلك .

دونات : أنت قلتَ .

بوليتشوف : أجل . . . فالنساء جائعات هذه الأيام .

كسينيا : تناهى اليَّ أن القرى بأجمعها غارقة في موجة من الفحش والدعارة . . .

دونات : ولم تسمينها دعارة ، يا أكسينيا ياكوفليفنا ؟ فالرجال قُتلوا ولابدَّ من ولادة الأطفال ، أليس كذلك ؟ ويتبين ان اولئك الذين اقترفوا القتل هم الذين يجب ان يقوموا بعملية الاخصاب .

بوليتشوف : هذا هو الظاهر . . .

كسينيا : هراء ، ما صنف أولئك الأطفال الذين تنجبهم النساء من أسرى الحرب ؟ ومن جهة أخرى ، اذا كان الرجل قوياً معافى . . .

بوليتشوف : وكانت المرأة غبية حمقاء – فهو لن يريد أطفالاً منها .

كسينيا : نساؤنا لسن حمقاوات . المشكلة هي أن جميع الرجال الاقوياء سيقوا الى الحرب ، ولم يتخلّف في البيوت غير . . . النواب !

بوليتشوف : لقد هلك وتشوّه عدد مريع من الناس . . .

كسينيا : مقابل ان الباقين سيكونون في حال ايسر .

بوليتشوف : وجدتِها !

دونات : القياصرة لا يكتفون بشعبهم .

بوليتشوف : ماذا قلت ؟

دونات : قلت ان القياصرة لا يكتفون بشعبهم . ليس لدينا ما يكفي لاطعام شعبنا ، ومع ذلك نريد أن نغزو الشعوب الأخرى .

بوليتشوف : صحيح . هذا صحيح تماماً !

دونات : ليس ثمة معنى آخر لقتالنا هذا . وهاهم يضربوننا عقاباً لشرهنا .

بوليتشوف : ان ما قلت صحيح ، يا دونات ! وهذا ما يقوله ياكوف ابني في العماد : «الشراهة وراء كل شر» . كيف حاله هناك ؟

دونات : على أحسن حال . فهو شاب ذكي .

كسينيا : هه ! وجدته ذكيا ! انه صفيق ليس غير .

دونات : ان ذكاءه يجعل منه وقحاً ، يا أكسينيا ياكوفليفنا . لقد قبض على عشرة ونيّف من الفارين من الخدمة العسكرية ، يايبجور فاسيليفيتش ، وأجبرهم على العمل ، وهم الآن يعملون بجد ونشاط . هذا يمنعهم من السرقة على الأقل .

بوليتشوف : ولكن . . . لو علم موكرووسوف بهذا لأثار المتاعب .

دونات : موكرووسوف يعلم ذلك . بل وسرَّ منه . فذلك يسهّل الأمور عليه .

بوليتشوف : حسناً ، دبِّر نفسك . . .

(يهبط زفونتسوف السلّم)

دونات : وماذا عن الدب اذن . . .

بوليتشوف : الدب انه حظك السعيد .

زفونتسوف : لعلك تسمح لي باهداء الدب الى الجنرال بيتلينغ ؟ أنت تدري أنه يقدم لنا . . .

بوليتشوف : نعم ، أدري ، قدمه اليه . أو قِدّمه للمطران ، اذا شئت !

كسينيا (ضاحكة) : بودي أن أرى المطران وهو يطلق النار على الدب .

بوليتشوف : كفى ، انني متعب . طاب يومك ، يا دونات . يبدو ان الاحوال سيئة نوعاً ما ، أليس كذلك ، ايها الأخ ؟ ساءت الاحوال منذ مرضي .

(ينحني دونات في صمت ، ويخرج)

بوليتشوف : إبعثي لي شوركا من فضلك ، يا أكسينيا . والآن ، يا اندريه ، ماذا كنت تبغي ان تقول ؟ أنطق ، يا رجل !

زفونتسوف : الأمر يتعلق بلابتيف .
بوليتشوف : وما باله ؟
زفونتسوف : سمعت أنه يختلط بـ . . مشبوهين سياسيين ، وقد خطب في جمع مـن الفلاحين عدة مرات في سوق كوبوسوفو مهاجماً الحكومة .
بوليتشوف : هراء ! أية أسواق هنالك في هذه الأيام ؟ واي فلاحين ؟ وفيمَ تشكون جميعاً من ياكوف ؟
زفونتسوف : حسناً ، انه من أسرتنا ، نوعاً ما . . .

(تدلف شورا راكضة .)

بوليتشوف : نوعاً ما ! . . حقاً ، أنتم لا تعتبرونه فرداً من العائلة . ولذا فهو يرفض حتى القدوم للغداء معنا أيام الآحاد . . اذهب عني الآن ، يا أندريه ، فستخبرني بهذه الأمور فيما بعد .

(يخرج زفونتسوف)

شورا : أكان يغتاب ياكوف ؟
بوليتشوف : ليس هذا من شأنك . اجلسي هنا . فالجميع يتذمرون منك ، أنت أيضاً .
شورا : من هم الجميع ؟
بوليتشوف : أكسينيا ، فارفارا . . .
شورا : أوه ، هؤلاء ليسوا الجميع .
بوليتشوف : اني أتحدث جاداً ، يا شورا .
شورا : لا . فأنت لا تتحدث هكذا عندما تكون جاداً .

بوليتشوف : أنت كثيرة الوقاحة مع الجميع ولا تعملين شيئاً . . .
شورا : اذا كنت لا أعمل شيئاً ، فمن أين جاءت وقاحتي ؟
بوليتشوف : أنت لا تسمعين أحداً .
شورا : انني أسمع الجميع . وقد مللت السماع لهم ، ايها الزنجبيل .
بوليتشوف : اذا كنتُ الزنجبيل — فأنت زنجبيلة اللون أكثر مني . وأنت تتواقحين معي أيضاً ! من واجبي أن أوبخك ، بيدَ أني لا أحسُّ رغبة في ذلك .
شورا : اذا كنت لا تريد ذلك ، فلا حاجة بك اليه اذن .
بوليتشوف : هكذا ! لتكون الحياة أسهل اذن ، انما لا يجوز ذلك .
شورا : من يمنعك ؟
بوليتشوف : كل شيء . الجميع . لكن هذا أكثر من أن تفهميه .
شورا : حسناً علّمني اذن ، وهكذا أفهم ، بحيث لا يمنعونني . . .
بوليتشوف : هذا شيء لا يمكن تلقينه ! أهذه أنت ايضاً ، يا أكسينيا ؟ فيم تجوالك من فوق الى تحت ؟ عمَّ تفتشين ؟
كسينيا : لقد قدم الطبيب . وباشكين ينتظر مقابلتك . هلاّ أرخيت تنورتك ، يا ألكسندرا ؟ يا لها من طريقة للجلوس !
بوليتشوف (ينهض) : حسناً ، أدخلي الطبيب (تخرج

كسينيا .) الاضطجاع يزعجني ، انه يبهظني آخ !
(الى شورا .) أركضي ، يا فتاتي ! احذري ان تلوي عقبك !

الطبيب : أسعدت صباحاً ! كيف حالك اليوم ؟

بوليتشوف : على اسوأ حال . أدويتك لا تفيدني كثيــراً ، أيها الطبيب .

الطبيب : حسناً ، حسناً ، فلنذهب الى غرفتك .

بوليتشوف (خارجاً مع الطبيب) : صف لي ألعن الأدوية التى تعرفها واثمنها ؛ لا بدّ لي من التحسن ! فاذا شفيتني ، فلسوف أشيد مستشفى وأجعلك مديراً له ، واذّاك تستطيع أن تفعل ما يحلو لك . . . (يخرجان)

(يدخل باشكين وكسينيا)

كسينيا : ماذا قال الطبيب ؟

باشكين : قال انه السرطان ، سرطان الكبد . . .

كسينيا : خلـّصنا ، يا اللـّه ! هذا ما خطر في بالهم !

باشكين : وقال انه داء خطر .

كسينيا : سيقول ذلك بالطبع ! كل انسان يعتقد ان عمله أصعب الأعمال واقساها . . .

باشكين : تصوري ان يمرض المرء في مثل هذا الوقــت ! فالاموال تتساقط في كل مكان وكأنها تهوي من جيــب ممزق ؛ والمتسولون يربحون الآلاف الباذخة ، بينمـا هو . . .

كسينيا : هذا صحيح ! الناس يصبحون أغنياء ، أغنياء جداً !

باشكين : دوستيجاييف سمن الى درجة انه يتجول هنا وهنالك مفكوك الأزرار ، ولا يتحدث الا بالآلاف . واذا سألتني عن ييجور فاسيليفيتش – فيبدو أن سحابة تحوّم في فكره . لقد قال قبل أيام : «انني أعيش ، وقد فاتني الشيء الحقيقي طوال الوقت .» ترى ، ماذا يقصد ؟

كسينيا : أوه ، لاحظت ذلك ، أنا أيضاً – اقواله غريبة !

باشكين : ولقد بدأ حياته على اكتاف دراهمك ودراهم أختك . كان يجب ان يزيد ذلك المال .

كسينيا : لقد أخطأت ، يا موكي ، وهو شيء أدركته منذ زمن بعيد . تزوجت بائعاً – ولكنني أخطأت الاختيار . لو اني تزوجتك أنت – ما أنعم الحياة التى كنا عشناها معاً اذن ! أما هو . . . يا الهي ! الأمور التي أقدم على صنعها ! والامور التي كان لا بدّ لي أن أتحملها من قبله ! جاء بابنة زنىً الى بيتي ، وحملني عبء رعايتها . واختار صهراً ليس أردأ منه ! أنا خائفة ، يا موكي بتروفيتش ، خائفة أن يطوقاني ويخدعاني ، صهري هذا وفارفارا ، لسوف يدمرانني . . .

باشكين : لن يدهشني ذلك . انها الحرب . والناس في الحروب لا يعرفون خجلاً أو شفقة .

كسينيا : أنت خادم قديم لعائلتنا ، وقد أوقفك والدي على قدميك – فكر في أمري . . .

باشكين : إني أفكر .

(يظهر زفونتسوف)

زفونتسوف : هل ذهب الطبيب ؟
كسينيا : كلا ، لمّا يزل هنا .
زفونتسوف : ماذا جرى بشأن الجوخ ، يا موكي بتروفيتش ؟
باشكين : رفض بيتلينغ استلامه .
زفونتسوف : كم يجب أن ندفع له ؟
باشكين : حوالي خمسة آلاف ، لا أقل .
كسينيا : اللص ! وهو شيخ عجوز ايضاً !
زفونتسوف : بواسطة جاتنّا ؟
باشكين : نعم – بالطريقة المعتادة .
كسينيا : خمسة آلاف روبل ! ولماذا ؟
زفونتسوف : بخست قيمة المال هذه الأيام .
كسينيا : عندما يكون هذا المال في جيب شخص آخر . . .
زفونتسوف : وهل وافق حمى ؟
باشكين : هذا ما جئت لأعرفه ، ما اذا كان قد وافق أم لا . . .
الطبيب (يخرج في هذه اللحظة ويأخذ زفونتسوف من ذراعه) : حسناً ، يجب أن أخبرك . . .
كسينيا : أوه ، أرجو أن تخبرنا بما يفرحنا . . .
الطبيب : ينبغي للمريض أن يلزم فراشه قدر المستطاع . فالأعمال ، والانفعالات ، والضجيج ، كل هذا من الأمور التى تسيء إليه . يجب أن يحصل على الراحة والهدوء . . . وإذ ذاك . . . (يهمس بشيء ما الى زفونتسوف .)

كسينيا : لماذا لا تخبرني ؟ انني امرأته !

الطبيب : هنالك أمور يستحسن الا نحدث النساء عنهـــا . (يهمس من جديد .) سنهيئ ذلك في هذا المساء اذن .

كسينيا : ستهيئان ماذا ؟

الطبيب : استشارة مع عدة أطباء آخرين .

كسينيا : يا للسما – وات !

الطبيب : أوه ، ليس في ذلك شيء رهيب . حسناً ، وداعاً . (يخرج .)

كسينيا : يا له من رجل صارم . . . وهو ليس أفضل مـن الآخرين ! يقبض خمسة روبلات أجراً لخمس دقائق . ستون روبلاً في الساعة – ما رأيك بهذا ؟

زفونتسوف : يقول إن الأمر يستوجب عملية .

كسينيا : ماذا ، السكين ؟ لا شيء من هذا القبيل ! لن أسمح بأن تتناوله السكين . . .

زفونتسوف : لكن اسمحي لي . . . هذا جهل خالص ! الجراحة والعلم . . .

كسينيا : لا أبالي بعلمك البتة . وهكذا ! فأنت قليل الأدب معي أيضاً .

زفونتسوف : انا لا أتحدث عن الأدب الآن – إنني أتحدث عن جهلك . . .

كسينيا : وأنت متنور جداً ، أليس كذلك ؟

(يلوح زفونتسوف بذراعيه في غيظ ، ثم يخطو مبتعداً . وفي تلك اللحظة ، تندفع جلافيرا الى وسط الغرفة)

كسينيا : إلى أين تنطلقين ؟
جلافيرا : جرس غرفة النوم . . .

(تتبعها كسينيا إلى غرفة نوم بوليتشوف)

زفونتسوف : اختار حمى أن يمرض في وقت غير ملائم .
باشكين : نعم . وهذا مزعج . في مثل هذه الأوقات يتصيد الأذكياء المال في الهواء كالمشعوذين .
زفونتسوف : همْ ، بلى ! وبالاضافة إلى هذا فثمة ثورة تقرع الأبواب .
باشكين : وهذا ما لا أوافق عليه . لقد قامت ثورة عام ١٩٠٥ ، وكانت فقاعات لا فائدة منها .
زفونتسوف : في عام ١٩٠٥ حدث عصيان – لا ثورة . في ذلك الوقت كان العمال والفلاحون في بيوتهم – أما الآن ، فهم جميعاً في الجبهة . وستقوم الثورة ، هذه المرة ، ضدّ الموظفين الكبار ، والحكام ، والوزراء .
باشكين : اذا كانت الحال ما ذكرت ، فليباركها اللّه ويتعهدها برعايته ! فالموظفون أكثر شراً من القراد . اذا التصقوا بجلدك مرة ، فلن تستطيع انتزاعهم منه . . .
زفونتسوف : ومن الواضح أن القيصر لا يصلح للحكم .
باشكين : يتردد مثل هذا القول بين التجار أيضاً . يقولون ان فلاحاً أو ماشابه يحوم حول القيصرة .

(تظهر فارفارا على السلم ، وتقف مرهفة أذنيها)

زفونتسوف : نعم ، جريجوري راسبوتين .

باشكين : على كل حال فأنا لا أؤمن بالسحر .

زفونتسوف : أفلا تؤمن بالعشاق أيضاً ؟

باشكين : تلك تبدو حكاية ملفقة بالنسبة اليّ . فلديهـا المئات من الجنرالات تستطيع الانتقاء من بينهم .

فارفارا : يا للهراء !

باشكين : الجميع يقولون هذا ، يا فارفارا ييجوروفنا . أمـا من جهتي أنا ، فأعتقد أننا عاجزون عـن العمل بدون قيصر .

زفونتسوف : نحن في حاجة الى قيصر – ليس في بتروغراد – بل في رؤوسنا . (الى فارفارا) هل انتهت المسرحية ؟

فارفارا : أُجّلت . لقد جاء أحد المفتشين ، وقال إن دفعـة جديدة من الجرحى تُنتظر هذه الليلة ؛ خمسمائة رجل تقريباً ، ولا يوجد لهم مكان .

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : إنه يسأل عنك ، يا موكي بتروفيتش .

(تخرج جلافيرا وباشكين . يترك الأخير قبعته على الطاولة)

فارفارا : كيف تثق به وتأتمنه ؟ أنت تدري أنه يتجسس علينا لحساب أمي . إنه يلبس هذه القبعة منذ عشر

سنوات ، هذا الشحيح ! ذلك كله دنس وقذارة ! لست أفهم فيمَ تصاحب هذا المحتال و . . .

زفونتسوف : آه ، كفاكِ . . إنما أبغي أستدانة المال منه كي أرشو بيتلينغ . .

فارفارا : لكنني أخبرتك أن ليزا دوستيجايبفا ستدبر كل هذا بواسطة جانتا ! وسيكون ذلك أرخص أيضاً . . .

زفونتسوف : لسوف تخدعك ، ليزا . . .

كسينيا (من غرفة نوم زوجها) : تعالوا وارغموه على الاضطجاع ! إنه يتابع التجوال في الغرفة ، والصياح في وجه باشكين . . . يا إلهي ارحمني ! . .

زفونتسوف : اذهبي اليه ، يا فاريا . . .

بوليتشوف (في منامته وخفيه المكسوين باللباد) : حسناً ، وماذا ايضاً ؟ هذه الحرب المشؤومة ؟

باشكين (يتبعه) : من ينكر ذلك ؟

بوليتشوف : مشؤومة بالنسبة الى من ؟

باشكين : لنا نحن .

بوليتشوف : ومن تقصد بـ . . . «نحن» ؟ أنت تقول انهم يجمعون الملايين من هذه الحرب ؟ حسناً ؟

باشكين : كنت أقصد للشعب . . .

بوليتشوف : انما الشعب هو الفلاح ، وسواء لديه أعاش أم مات ! هذه هي كل الحقيقة التي تتحدث عنها !

كسينيا : لا تهتج ، محبة بالله . فالهياج يؤذيك .

باشكين : لم أقصد ذلك البتة . أي نوع من الحقيقة تسمي ذلك ؟

بوليتشوف : الحقيقة الصادقة . هذه هي الحقيقة . وأقول بصراحة ان عملي هو جمع المال ، أما عمل الفلاح – فزرع الحبوب ، وشراء السلع . وهل هناك حقيقة غير هذه ؟

باشكين : هذه هي الحقيقة طبعاً ، انما . . .

بوليتشوف : حسناً ، ماذا تقصد بـ«انما» ؟ فيمَ تفكر عندما تسرقني ؟

باشكين : لِمَ تهينني هكذا ؟

كسينيا : لم لا تفعلين شيئاً ، يا فاريا ؟ أقنعيه ، فالمطلوب منه أن يضطجع في فراشه .

بوليتشوف : أفي الشعب أنت تفكر ؟

باشكين : تهينني أمام الجميع ! أنا سرقتك ! هذا يتطلب برهاناً !

بوليتشوف : ليس هنالك شيء يُبرهن عليه . الجميع يعرفون أن السرقة عمل مشروع . وليس من مبرر لاهانتك . فالاهانة لا تجعل منك انساناً أفضل ، بل تزيدك سوءاً ليس غير . ثم لست أنت السارق ، بل الروبل . الروبل بالذات هو اللص الأعظم . . .

باشكين : لا يمكن أن يقول هذا القول سوى شخص مثل ياكوف لابتيف .

بوليتشوف : هذا ما يقوله بالضبط . حسناً ، في مقدورك الذهاب الآن . إن بيتلينغ لن يحصل على أية رشوة . لقد حصل منا على ما يكفي ، ما يكفي ثمنا لنعشه

وكفنه ، ذلك الشيطان العجوز ! (يخرج باشكين) ماذا تفعلون هنا ؟ ماذا تنتظرون ؟

فارفارا : لا ننتظر شيئاً .

بوليتشوف : لا شيء حقاً ؟ حسناً ، اذا كنتم لا تنتظرون شيئاً ، فهيا الى أعمالكم . أفليس لديكم ما تعملون ؟ أكسينيا ، مري أحدهم بتهوية غرفتي . انها خانقة الجو – عابقة برائحة الأدوية الحادة . وبعد ، قولي لجلافيرا أن تحمل لي بعض الكفاس المصنوع من التوت البري .

كسينيا : لا يجوز لك ان تشرب الكفاس .

بوليتشوف : هيا ، هيا من هنا ! إنني أعلم ما يجوز لي وما لا يجوز .

كسينيا : (وهي خارجة) : لو كنت تعلم فقط . . .

(الجميع يغادرون الغرفة)

بوليتشوف (يدور حوالي الطاولة ، مستنداً اليها بيده . يرنو إلى المرآة ، ويقول بأعلى صوته) : أنت في حالة سيئة ، يا ييجور . وبوزك . وبوزك هذا – لا يبدو أنه بوزك ايضاً !

جلافيرا (تدخل حاملة قدحاً من الحليب على صينية) : اليك قليلاً من الحليب .

بوليتشوف : أعطيه للقطة . وائتيني ببعض الكفاس – الكفاس المصنوع من التوت البري .

جلافيرا : قالوا لي ألا أقدّم اليك كفاساً .

بوليتشوف : لا تهتمي بما يقولون لك – هيا ائتيني بـه . مهلاً ! ماذا تحسبين – هل سأموت ؟

جلافيرا : هذا غير معقول .

بوليتشوف : لماذا ؟

جلافيرا : لا أصدق ذلك !

بوليتشوف : لا تصدقين ذلك ؟ لا ، يا عزيزتي ، حالتي رديئة ! رديئة جداً . أنا أعرف !

جلافيرا : لا أصدق ذلك .

بوليتشوف : أمرأة عنيدة ، هذه حقيقتك . هيا ، ولنتناول الكفاس إذن . وسأشتف قطرة من فودكا البرتقال . . . فذلك يفيدني . **(يتجه نحو الخزانة .)** لقد أقفلوها ، حلّت عليهم اللعنة . الخنازير القذرة يحافظون عليّ ! يخيّل اليّ لكأني سجين ، او معتقل . . .

ستار

الفصل الثاني

غرفة استقبال آل بوليتشوف . زفونتسوف وتياتين يجلسان في احدى الزوايا الى طاولة صغيرة مدورة ، وعلى الطاولــة تنتصب زجاجة من الخمرة .

زفونتسوف (يشعل دخينة) : أفهمتني ؟
تياتين : بصراحة ، يا أندريه ، لا أحب ذلك . . .
زفونتسوف : ولكنك تحبُ المال ، أليس كذلك ؟
تياتين : أنا آسف ، ولكنني أحبه .
زفونتسوف : من الذي تأسف له ؟
تياتين : نفسي ، بالطبع .
زفونتسوف : إنها لا تستحق ذلك !
تياتين : لكنك تعرف ، مع ذلك ، ان صديقي الوحيد هو أنا نفسي .
زفونتسوف : يحسن أن تقلـِّل من فلسفتك ، وأن تفكــر قليلاً .
تياتين : انني أفكر . انها شابة مدللة ، وسوف تكـــون مشكلة عويصة .
زفونتسوف : تستطيع أن تطلقها .
تياتين : فتحتفظ هي بالمال . . .
زفونتسوف : سنرتب الأمور بحيث تحصل عليه أنت . أمــا شورا ، فلسوف أروِّضها بنفسي .

تياتين : بشرفي اني . . .
زفونتسوف : عندما أسوّي الأمر معها فسوف يتعجلون تزويجها وإعطاء بائنة أعظم .
تياتين : هذه فكرة رائعة وربي ! وكم هي البائنة ؟
زفونتسوف : خمسون .
تياتين : ألفاً ؟
زفونتسوف : كلا . خمسون زراً .
تياتين : حقاً ؟
زفونتسوف : لكنك ستكتب لي وصلاً بعشرة .
تياتين : آلاف ؟
زفونتسوف : كلا . روبلات ! يا حمار !
تياتين : لكن هذا كثير . . .
زفونتسوف : فلنقفل الموضوع ، إذن .
تياتين : هل أنت جادّ بهذا الشأن ؟
زفونتسوف : وحدهم الحمقى لا يكونون جادين في موضوع المال . . .
تياتين (يضحك في سره) : انها فكرة رائعة .

(يدخل دوستيجاييف)

زفونتسوف : يسعدني ان أراك قادراً على استيعاب شيء ما ! ان مثقفاً بروليتارياً مثلك لا يستطيع في هذه الأيام المتوحشة . . .
تياتين : نعم ، بالطبع . حسناً ، يجب أن أسرع الى المحكمة الآن .

دوستيجاييف : ما الذي يقلقك ، يا ستيبان ؟

زفونتسوف : كنا نتحدث عن راسبوتين .

دوستيجاييف : ياله من سعد ، ها ؟ فلاح سيبيريّ عادي — ويلعب «الداما» مع المطارنة والوزراء . لابدّ أن مئات الألوف من الروبلات مرّت بين يديه . لم يقبل قط رشوة تقل قيمتها عن عشرة آلاف ! انها حقيقة — استقيتها من مصدر موثوق ، لم يقبل اقل من ذلك ! ماذا تشربان ؟ بورغوندية ؟ انها حمرة ثقيلة ، لاتُشرب الا في فترة الغداء ، أيها الجهلاء !

زفونتسوف : كيف عثرت على حمى ؟

دوستيجاييف : لم اضطر للعثور عليه ، فهو لم يكن مختبئاً . جئني بقدح ، يا ستيبان ! (تياتين يخرج على مهله) يجب أن اعترف ان بوليتشوف ، والحق يقال ، في حال سيئة . حالته خطرة . . .

زفونتسوف : يخيل الي ، أنا الآخر ، أن . . .

دوستيجاييف : نعم . بالضبط . ثم هو يخشى الموت ، وهكذا لا بد ان يموت . لا تنس هذا . هذه هي ايام العمر حيث لا يجوز أن تُضبط متثائباً ويداك في جيبيك . ذلك لن ينفع شيئاً . إن الخنازير تهاجم سياج الدولة من كل مكان ، أما أن الثورة ستشتعل فأمرٌ يدركه حتى الحاكم المحلي . . .

تياتين (يدخل حاملاً قدحاً فارغاً) : خرج ييجور فاسيليفيتش الى غرفة الطعام .

دوستيجاييف (يتناول القدح) : شكراً ، يا ستيبان . تقول انه خرج ؟ حسناً ، فلنذهب الى هناك اذن . . .
زفونتسوف : يبدو ان الصناعيين يعرفون ما ينبغي ان يفعلوا . . .

(فارفارا وإيليزافيتا تدخلان)

دوستيجاييف : أتعني أولئك الذين في موسكو ؟ انهم يعرفون بالضبط !
إيليزافيتا : يجلسون هنا يعاقرون الخمرة مثل جماعة من عصافير الدوري ، بينا بوليتشوف هنالك يجأر ويخور ! هذا رهيب بكل بساطة !
دوستيجاييف : لماذا تزدهر أميركا ؟ لأن اصحاب الأعمال هناك هم في السلطة .
فارفارا : ان جانّا بيتلينغ تعتقد بصورة راسخة أن طباخي أميركا يتبضعون في سيارات .
دوستيجاييف : هذا محتمل والأرجح مع ذلك أنها أكذوبة . وأنت ، يا فاريا ، لا تبرحين مشغولة مع العسكريين على ما أعتقد ؟ هل تريدين شغلاً مع عقيد ما ؟
فارفارا : آه ، تلك نكتة قديمة ! بماذا تحلم ، يا تياتين ؟
تياتين : آوه ، أبداً ، لا شيء ، عموماً . . .
إيليزافيتا (أمام المرآة) : روت لي جانّا البارحة نكتة رائعة ! مدهشة !
دوستيجاييف : حسناً ، تعالي ، قصيّها علينا .

إيليزافيتا : لا أستطيع ذلك أمام الرجال .
دوستيجاييف : لا بدّ أنها مدهشة !

(فارفارا تهمس بشيء في أذن إيليزافيتا)

إيليزافيتا : حسناً ، يازوجي ! أمزمع أنت على البقاء هنا حتى تفرغ الزجاجة ؟
دوستيجاييف : لا أعترض سبيل أحد ، أليس كذلك ؟
إيليزافيتا (الى تياتين) : أنت تعرف ، يا عزيزي ستيبان ، ما يقول المزمور : «مبارك هو الانسان الذي لا يسير على طريق الضلال ، ولا يقف في طريق الخطأة !» .
تياتين : نعم ، أعتقد أني أتذكر شيئاً مثل هذا . . .
إيليزافيتا (تتأبط ذراعه) : حسناً ، هؤلاء جميعاً خطأة شريرون ، وأنت شاب لطيف خُلقت لضوء القمر ، والحب ، والى آخر ما هنالك . ألست كذلك (تقوده بعيداً)
دوستيجاييف : يالها من ثرثارة !
فارفارا : فاسيلي ييفيموفيتش ، أنت تعلم أن والدتي وباشكين أرسلا في طلب العمة ميلانيا .
دوستيجاييف : الراهبة ؟ أو — و — ه ، المدفعية الثقيلة ! انها ستقف ضدّ شركة دوستيجاييف وزفونتسوف . لسوف تفعل . إنها تؤيد لوحة يكتب عليها «كسينيا بوليتشوفا ودوستيجاييف» .
زفونتسوف : قد تسحب حصتها من المشروع .

دوستيجاييف : كم تبلغ حصة ميلانيا من المال ؟ سبعون ألفاً ؟
زفونتسوف : تسعون .
دوستيجاييف : مبلغ محترم ! وهل هو من مالها الخاص أو من مال الدير ؟
فارفارا : كيف يمكن اكتشاف ذلك ؟ من يدري ؟
دوستيجاييف : أوه ، هذا يمكن . يمكن اكتشاف كل شيء . فالألمان مثلاً لا يعرفـــون عدد جنودنـــا في الميدان فحسب ، بل حتى عدد القمل في جسد كل واحد منهم .
فارفارا : أفلا تستطيع أن تكون جاداً في أمرما ؟ . .
دوستيجاييف : يا عزيزتي فاريا ، لا تستطيعين أن تتاجري أو تخوضي غمار الحرب إلا اذا كنت تعرفين كيـــف تحصين ما في جيبك من مال . نستطيع أن نعرف أمر أموال ميلانيا على هذا الغرار : هنالك سيدة تدعـــى سيكلاتيا بولوبوياربنوفا شاركت المحتـــرم نيكاندر سهره الليلي ، ونيكاندر هذا يعرف كل ما يجب معرفته عن أموال الآخرين . وبالاضافة ، هنالك رجـــل في المجمع المقدس – وسوف نحتفظ به كاحتياطـــي . أريدك أن تكلمي بولوبوياربنوفا هذه ، يا فاريا ، فاذا تبين أن المال يخص الدير – حسناً ، اننا نعرف موقفنا إذن ! أين تسللت زوجتي العزيزة ، يا ترى ؟
جلافيرا : أرسلوني أدعوكم الى غرفة الطعام .
دوستيجاييف : سنكون هنالك بعد ثوان . تعالـــوا بنا ، جميعاً .

فارفارا (تتظاهر بأن طرف ثوبها علق في ذراع المقعد) : أندريه ، هلاّ ساعدتني في تخليص هذا ! . . هل تصدقه ؟

زفونتسوف : وهل أبدو مجنوناً ؟

فارفارا : أوه ، يا له من لص غشاش ! كانت فكرتي بشأن العمة جيدة ، وماذا عن تياتين ؟

زفونتسوف : لسوف أقنعه .

فارفارا : يجب الاسراع في هذا . . .

زفونتسوف : لماذا ؟

فارفارا : لأنه لن يكون لك بدٌّ من الانتظار طويلاً بعد الجنازة . ووالدي قلبه ضعيف أيضاً . . .وبالاضافة الى هذا ، فلديّ أسباب أخرى .

(يخرجان ، فيواجهان جلافيرا في الطريق . تلاحقهما بنظرة حقود ، ثم تشرع في تنظيف الطاولة . يدخل لابتيف .)

جلافيرا : انتشرت إشاعة نهار البارحة تقول انك معتقل .

لابتيف : حقاً ؟ لا أعتقد أنها صحيحة .

جلافيرا : أنت دائم الدعابة والمزاح !

لابتيف : لا شيء للتغذية بينما الكثير للسخرية .

جلافيرا : لسوف تُدق عنقك ذات يوم من جراء سخرياتك .

لابتيف : السخرية الجيدة تنال المديح ، أما ياكوف فسيدق عنقه بسبب دعاباته السيئة .

جلافيرا : آوه ، أيها الثرثار ! شورا هنالك برفقة تونيا دوستيجاييفا .

لابتيف : بررر – لا شأن لي بتونيا !

جلافيرا : هل أنادي شورا الى هنا ؟

لابتيف : فكرة رائعة . كيف حال بوليتشوف ؟

جلافيرا (ساخطة) : ليس هو بوليتشوف بالنسبة إليك – إنه عرّابك .

لابتيف : لا تغضبي ، ياعمة جلافيرا .

جلافيرا : حاله سيئة جداً .

لابتيف : سيئة جداً ؟ رويدك لحظة ! شركائي جياع . أفليس في وسعك ، يا عمة جلافيرا ، أن تحصلي على بعض الدقيق لهم ، بودين أو لنقل كيساً كاملاً ؟

جلافيرا : أتريدني أن أسرق مستخدميّ من أجل خاطرك ؟

لابتيف : وكأنها المرة الأولى ! فقد أخطأت من قبل على أية حال – عبء الخطايا يقع على عاتقي . الشبان ساغبون ، يبغون شيئاً يسدُّ الرمق . وباعتبار العمل الذى تقومين به في هذا البيت ، فإن لك حقاً أكثر مما لمستخدميك .

جلافيرا : سمعت هذه الأقاصيص منك قبلاً ! سيرسلون الطحين غداً صباحاً الى دونات ، فتستطيع أخذ كيس منه . (تخرج)

لابتيف : شكراً ! (يجلس على المتكأ ، ويتثاءب حتى تنهمر الدموع من عينيه ، فيمسحها ويتطلع حواليه) .

كسينيا (تدخل وهي تجمجم) : يهربون لما تهرب الشياطين من البخور . . .

لابتيف : نهارك سعيد . . .

كسينيا : أوه ! فيم جلوسك هنا ؟

لابتيف : هل يحسن بي أن أتجوّل إذن ؟

كسينيا : إما أنه لا يوجد في مكان ، أو ينبثق فجأة ! وكأنه يلعب الاستغماية ! عرابك يضطجع مريضاً ، وأنت لا تبالي .

لابتيف : وماذا أفعل ؟ أأمرض ، أنا الآخر ؟

كسينيا : لقد جننتم جميعاً ، وها أنتم تحاولون دفع الآخرين إلى الجنون . الحقيقة أن المرء لا يستطيع ان يفهم شيئاً من شيء ! هل سمعت أنهم يريدون وضع القيصر في قفص مثلما فعلوا ببوغاتشيوف * ؟ والآن ، أنت عالـم فقل لي ، أهم يكذبون أم ماذا ؟

لابتيف : كل شيء محتمل ، كل شيء !

جلافيرا (تصيح من خارج المسرح) : اكسينيا ياكوفليفنا ، تعالي لحظة .

كسينيا : ما الأمر الآن ؟ لا أملك دقيقـــة راحة وسلام . ساعدني ، يارب ! (تخرج .)

---

* بوغاتشيوف ايميليان (١٧٤٢–١٧٧٥) زعيم حرب الفلاحين (١٧٧٣–١٧٧٥) أثار انتفاضة القوزاق عام ١٧٧٣ تحت إســم القيصر بطرس الثالث . سلم بمآمرين عام ١٧٧٤ للسلطات . اعدم في موسكو . الناشر .

شورا (تدخل راكضة) : مرحباً !
لابتيف : شورا ، انني راحل الى موسكو ، ولا أملك كوبيكاً – ساعديني !
شورا : لدي ثلاثون روبلاً . . .
لابتيف : أفلا تجعلينها خمسين ، أفلا تستطيعين ؟
شورا : سأتدبرها لك .
لابتيف : هذا المساء انطلاق قبل قطار الليل ، هل تهيئين ذلك ؟
شورا : نعم إسمع : هل ستكون هنالك ثورة ؟
لابتيف : كيف ، لقد انفجرت منذ الآن ! ألا تقرئين الصحف ؟
شورا : لا أستطيع فهمها .
لابتيف : حسناً ، سلي تياتين .
شورا : ياكوف ! أخبرني صراحة ، ماذا تظنُّ في تياتين ؟
لابتيف : ظريف ! أنت ترينه كل يوم منذ قرابة ستة شهور .
شورا : هل هو شريف ؟
لابتيف : حسناً . . . نعم .
شورا : لا تبدو شديد الثقة بما تقول .
لابتيف : أوه ، إنه رخو نوعاً ما . من ذلك النوع البليد . لعله يشعر بالغبن .
شورا : من أساء اليه ؟
لابتيف : طردوه من الجامعة في عامه الثاني . وعمل عند ابن عمه ككاتب حسابات ، وابن عمه . . .
شورا : زفونتسوف لص غشاش ، أليس كذلك ؟

لابتيف : بل ليبرالي ، من الحزب الدستوري الديموقراطي ، وهم جميعاً لصوص غشاشون على العموم . أعطي المال الى جلافيرا وهي ستعطيه لي .

شورا : وهل تساعدك جلافيرا وتياتين ؟

لابتيف : في اي عمل ؟

شورا : لا تراوغ ، يا ياكوف ! فأنت تفهم تماماً ! أريـــد المساعدة بدوري ، هل تفهم ؟

لابتيف (مذهولاً) مابالك ، يا صبيّة ؟ أنتِ تمثلين وكأنك أفقتِ لتوّك .

شورا (ساخطة) : اياك والتجرؤ على السخريـــة مني ! انتَ احمق !

لابتيف : لعلي احمق ، ومع ذلك أريد ان افهم . . .

شورا : إن فارفارا آتية !

لابتيف : أوه ، لا أريد رؤيتها .

شورا : تعال ، إذن ، أسرع !

لابتيف (يحوط كتفيها بذراعه) : لا ، أخبريني ، ماذا يعتمل في جوفك ؟

(يخرجان ، ويغلقان الباب خلفهما)

فارفارا (وقد سمعت قرقعة القفل ، تسرع الى الباب وتدير قبضته) : أهذه أنت ، يا جلافيرا ؟ (صمت) أهنالـك أحد ؟ ما اغرب ذلك ! . . (تخرج مسرعة)

(تظهر شورا ، وهي تشدُّ دونات من يده)

دونات : الى أين تجرينني ، يا شورا ؟
شورا : قف ! قل لي الآن : هل يحترمون والدي في المدينة ؟
دونات : الأغنياء محترمون في كل مكان . يالك من وحشة كاسرة ! . .
شورا : أهم يحترمونه أم يخافونه ؟
دونات : ان لم يخافوه ، فلن يحترموه إذن !
شورا : وما يحبون فيه ؟
دونات : يحبونه ؟ لست أدري .
شورا : هل تدري انهم يحبونه حقاً ؟
دونات : هُوَ ؟ حسناً –يبدو أن سائقي العربات يحبونه ؛ فهو لا يساومهم أبداً ، ويدفع لهم الأجر الذي يطلبون . وكل سائق عربة يخبر غيره طبعاً ، وهكذا دواليك . . .
شورا (تضرب الأرض بقدمها) : هل تسخر مني ؟
دونات : لا . انني أخبرك الحقيقة .
شورا : أضحيت شريراً . وتحولت الى رجل مختلف تماماً !
دونات : وكيف أتحول الى رجل مختلف ؟ لقد فات الوقت من أجل ذلك .
شورا : لقد اعتدت أن تمتدح والدي أمامي .
دونات : وأنا لا أحطُّ من قيمته الآن . إن لكل سمكة حراشفها الخاصة .
شورا : جميعكم كذابون .
دونات (يتنهد مطأطئاً رأسه) : لا تغضبي ، فالغضب لا يثبت شيئاً .

(تدخل جلافيرا)

شورا : أخرج من هنا ! (يخرج دونات) إسمعي ، يا جلافيرا . . . صه . أحدهم قادم ! (تختبئ خلف الستائر)

(يدخل الكسي دوستيجاييف ، وهو شاب متصنع مغرور يرتدي سروال ركوب الخيل ، وسترة سويدية ذات أحزمة لا تُحصى ، وشرائط وجيوب)

الكسي : أنت تزدادين حسناً وبهاء يوماً بعد يوم ، يا جلافيرا !
جلافيرا (في جفاء) : يسعدني أن أسمع ذلك .
ألكسي : لكنني لست سعيداً . (يسد درب جلافيرا) لا أحب شيئاً جميلاً ما لم يكن ملكاً لي .
جلافيرا : دعني أمرّ ، من فضلك .
الكسي : بكل تأكيد . (يتثاءب ويحملق في ساعته)

(تخرج جلافيرا وتدخل أنطونينا يتبعها تياتين بعد قليل)

شورا (تخرج من خلف الستائر) : أنت تغازل الخادمات أيضاً ، كما أرى ؟
أنطونينا : لا فرق لديه حتى ولو كانت سمكة .
ألكسي : الخادمات لسن أسوأ من السيدات عندما تعريهن .
أنطونينا : أسمعتِ هذا ! انه يتحدث هكذا على الدوام كما لو انه لم يعش في ساحة حرب بل في خمارة .

شورا : نعم . كان من قبل كسولاً كما هو حاله الآن ، ولكنّه لم يكن شجاع اللسان الى هذه الدرجة .

ألكسي : انني مقدام في الأفعال أيضاً .

أنطونينا : أوه ، يا للكذاب ! إنه جبان ، وأي جبان ! إنه يموت فزعاً من ان تعمد امرأة ابيه الى إغوائه .

الكسي : فيم اختلاق هذه الأقاصيص ؟ حمقاء !

أنطونينا : وهو نهم لدرجة مقرفة . وهل تعلمين أني أدفع له روبلاً وعشرين كوبيكاً لقاء كل يوم لا يقول لي فيه شيئاً بذيئاً ! وانه يأخذ المبلغ !

الكسي : هل تعجبك أنطونينا ، يا تياتين ؟

تياتين : نعم ، كثيراً .

شورا : وأنا ؟

تياتين : أتريدين الحقيقة ؟ . .

شورا : بلى ، الحقيقة طبعاً !

تياتين : ليس كثيراً .

شورا : هكذا ؟ هذه هي الحقيقة ، ها ؟

تياتين : نعم .

انطونينا : لا تصدقيه ، إنه يرجعّ صدى إنسان سواه ليس غير .

الكسي : بودي أن تتزوج انطونينا ، يا تياتين . لقد مللتها .

انطونينا : أيها الحمار الأخرق ! اخرج من هنا ! أنتَ ، يامن تبدو كغسالة حبلى .

الكسي (يلف خصرهـــا بساعـــده) : أوه ، يا للفتـــاة

الأرستقراطيـــة ! لا تأكلـــي حبـــوب عبّاد الشمس ، يا عزيزتي . سي موفي تون * .

أنطونينا : دعني وشأني !

الكسي : بكل سرور ! (يرقص واياها)

شورا : لعلي لا أعجبك مطلقاً ، يا تياتين ؟

تياتين : ولماذا تصرّين على معرفة ذلك ؟

شورا : يجب أن أعرف ، فذلك يهمني .

الكسي : لماذا تدور حول الموضوع ، ياتياتين ؟ ترجو أن تتزوج بها . الفتيات بأجمعهن في عجلـــة من أمرهنّ اليوم ، يبغين أن يصبحن أرامل الأبطال . هذا معنـــاه جراية طيبة ، وهالة من التمجيد ، ومعاش تقاعدي . . .

أنطونينا : ويظنُ أنه ذكيّ .

الكسي : حسناً ، سأرحـــــل خبباً الآن . هلاّ رافقتني الى المدخل ، يا تونكا ؟

أنطونينا : لا أريد !

الكسي : أودُ إطلاعك على أمرٍ ما . تعالي ، فالأمر جدّي .

أنطونينا : الأمر حماقة ، على ما أعتقد .

(يخرج الكسي وأنطونينا)

---

* تلك عادة سيئة (بالفرنسية) . **المعرب** .

شورا : أأنت رجل صادق يا تياتين ؟
تياتين : كلا .
شورا : لماذا ؟
تياتين : ذلك لا يفيد .
شورا : اذا كنت تقول هذا فمعنى الأمر أنك صادق . قل لي الآن صراحة – هل نصحوك ان تخطبني ؟
تياتين (بعد فترة صمت ، أشعل خلالها دخينة) : نصحوني .
شورا : وأنت تفهم أنها نصيحة سيئة ؟
تياتين : أفهم .
شورا : وهكذا فأنت . . . حسناً ، لم أكن أتوقــع هذا ! حَسبتُ أنك . . .
تياتين : كان يجب أن تظني بي السوء . أليس كذلك ؟
شورا : كلا ، فأنت رائع ! لكن لعلك ماكر فقط ، إيـــه ؟ ولعلك تدعي الاستقامة كي تخدعني ؟
تياتين : ذلك كثير بالنسبة إليّ . فأنت ذكية وأنت سريعة الغضب ، مشاكسة – نسخة طبق الأصل عن أبيـــك تماماً . وبصراحة ، أنا أخافك . ثم إن الشعر الأحمر يتوِّج رأسك مثل يبجور بوليتشوف . إنه يشبـــه شعلة الحريق .
شورا : أنت ظريـــف ، يـا تياتين ! لكنـــك مكار بصورة راعبة . . .
تياتين : وإن وجهك بديع . . .
شورا : حديثك عن وجهي محاولة لتلطيف الضربة ، أليس كذلك ؟ آه ، انك داهية على كل حال !

تياتين : فكري ما تشائين . أما رأيي فيك فهو أنه مقدر لك أن تقترفي . . . جريمة ما . أما أنا – فقد اعتدت الحياة ومخالبي ظاهرة واضحة – مثل جروٍ مذنب . . .

شورا : مذنب بماذا ؟

تياتين : لا أدري . لكوني جرواً ولا أملك أنياباً أعضُ بها .

أنطونينا (تدخل) : قرصني ذلك الأحمق الكسي قرصة مؤلمة في أذني . وأخذ جميع ما أملك من مال – ذلك اللصّ ! هل تدرين أنه سيشرب حتى الموت – أنا واثقة من هذا ! هو وأنا لسنا سوى ولدين من أولاد التجار لا نصلح لشيء . أيضحكك هذا ؟

شورا : تونيا ، انسي كل السوء الذي تفوهت به عنه .

أنطونينا : عن تياتين ؟ ماذا قلت عنه ؟ لا أذكر .

شورا : حسناً ، انه يريد ان يخطبني .

أنطونينا : وأي سوء في هذا ؟

شورا : لأن المال هو الدافع .

أنطونينا : آه ، بلى ! تلك قذارة منك ، يا تياتين !

شورا : من المؤسف أنك لم تسمعي أجوبته عن أسئلتي .

أنطونينا : فاروماتك ؟ هل تتذكرين «فاروم» * شوبيرت ؟

تياتين : هل هي لشوبيرت ؟

أنطونينا : ان فاروم ليرنُ وقعها أشبه بـ«أبوسعن» ، ذلك النوع المكتئب من الطيور القاطن في . . . أفريقيا .

شورا : يا للأشياء التي تختلقينها !

---

* كلمة المانية Warum تعني : لماذا ؟ **الناشر** .

أنطونينا : إنني أتعشق الأشياء الراعبة أكثر من اي شيء آخر . عندما يرتعب المرء ، فهو لا يضجر إذن . أحب الآن الجلوس في الظلمة ، منتظرة ان يزحف اليّ ثعبان ضخم . . .

تياتين (مقهقهاً) : هل تعنين ذلك الثعبان الذي كان في جنّات عدن ؟

أنطونينا : كلا ، بل أكثر منه رعباً وهولاً .

شورا : أنت ظريفة ! على الدوام ، تستنبطين شيئاً جديداً ، في حين يجمجم الجميع بالأشياء عينها : الحرب وراسبوتين والقيصرة والألمان ، أما الحرب والثورة . . .

أنطونينا : سوف تكونين ممثلة أو راهبة .

شورا : راهبة ؟ يا للكلام الغث !

أنطونينا : صعب جداً ان تكوني راهبة . فلا بدّ لك إذن أن تلعبي ، على الدوام ، الدور نفسه .

شورا : أريد أن أصير لعوباً ، مثل نانا زولا .

تياتين : ياربِّ ! ما هذا الذي تقولين ؟

شورا : أريد أن أفسد الناس ، فآخذ بثأري وأنتقم .

تياتين : ممن ؟ ولماذا ؟

شورا : لأني حمراوية الشعر ، ولأن والدي مريض . . . ولكل شيء ! انتظر ، حتى تنفجر الثورة . . . ولسوف أريكم ! لسوف ترى !

أنطونينا : هل تصدقين أنه ستكون هنالك ثورة ؟

شورا : نعم ، أصدق !

تياتين : نعم ، لسوف تشتعل ثورة .

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : جاءت الأم ميلانيا ، يا شورا ، ويريـــد ييجور فاسيليفيتش أن يستقبلها ههنا .
شورا : هه – العمة ميلانيا ! تعالوا الى غرفتي ، أيهــا الاطفال ! هل تحترم أخاك ، يا تياتين ؟
تياتين : إنه – ابن عمي .
شورا : ليس هذا بجواب .
تياتين : يبدو لي أن الأقرباء على العموم نادراً ما يحترمون بعضهم بعضاً .
شورا : الآن ، هذا جواب !
أنطونينا : كفاكما ثرثرة عن أشياء مضجرة .
شورا : إنك مضحك ، يا تياتين .
تياتين : حسناً ، وماذا أستطيع أن أفعل بعد ذلك ؟
شورا : وأنت تلبس ثيابك بطريقة مضحكة أيضاً .

(يخرجون . تفتح جلافيرا باباً مختفياً خلف ستارة كثيفة ثقيلة ، ويظهر بوليتشوف في اللحظة ذاتها على العتبة التي خرج منها الشبان . تدخل الراهبة ميلانيا بخطوات بطيئة مهيبة ، تمسك عصا في يدها . تقف جلافيرا محنية الرأس ، وهي تردُّ الستارة الى الخلف)

ميلانيا : وهكذا فأنت تتسكعين بعد في هذه النواحي ، ايتها الخاطئة ؟ أفلم يطردوك بعد ؟ لكن سوف يطردونك قريباً .

بوليتشوف : وعندها تقتادينها الى الدير ، وتجعلين منها راهبة – فهي تملك الكثير من المال .

ميلانيا : آه –أنت ، أنت ، هنا ؟ عجباً يا ييجور ، لشد ما تبدو ضعيفاً ! أعانك الله !

بوليتشوف : أغلقي الباب ، يا جلافيرا ، ولا تأذني لأحد بالدخول . إجلسي . . . يا صاحبة القداسة ! عن أي عمل سوف نتحدث ؟

ميلانيا : لم يفدك الأطباء كثيراً ، ها ؟ أنت ترى : ان اللّه يمنع يده ليوم واحد ، لسنة ، لجيل . . .

بوليتشوف : لسوف نتحدث عن اللّه فيما بعد – الأعمال أولاً . أنا أعرف أنك جئت تتحدثين عن مالك .

ميلانيا : المال ليس مالي ، لكنه يخصُّ الدير .

بوليتشوف : ذلك سواء ، الدير ، الغيْر ، الطير . . . فيم يقلق المال أفكارك ؟ أتخافين أن أموت فيضيع عليك ؟

ميلانيا : لا يمكن أن يضيع ، بَيْدَ أني لا أريده أن يقع في أيد غريبة .

بوليتشوف : أنت ترغبين في سحبه من الأعمال اذن ؟ ذلك سواء بالنسبة إليّ – خذيه اذا كانت تلك رغبتك . لكن احذري – ستخسرين بذلك . فالروبلات تتوالد هذه الايام وتنمو مثل القمل المعشش في الجنود . أما

أنا فلن أموت – فأنا لست مريضاً حتى هذه الدرجة . . .

ميلانيا : لا نعلم اليوم أو الساعة التي يجيء الموت فيها ! هل كتبت وصيتك ؟

بوليتشوف : كلا !

ميلانيا : حان الوقت ! اكتبها . فلنفترض أن اللـّه دعاك بصورة مباغتة . .

بوليتشوف : وماذا يروم مني ؟

ميلانيا : كفّ عن وقاحتك هذه ، فأنت تعلم أني لا أحبُ الأصغاء اليها . وبالاضافة ، فإن مركزي المقدس لا يسمح . . .

بوليتشوف : آه ، تناسي ذلك ، يا مالاشا ! فنحن خبيران بما يعتلج في باطننا . تستطيعين سحب المال إذا شئت – فبوليتشوف يملك الكثير منه !

ميلانيا : لا أبغي سحب رأس مالي من الأعمال ، لكني أريد تحويل السندات الى اسم كسينيا . وهذا ما جئت أخبرك به .

بوليتشوف : فهمت . حسناً ، هذا شأنك . لكن ، اذا متُ أنا ، فسيخدع زفونتسوف كسينيا . وستساعده فارفارا على ذلك . . .

ميلانيا : هذا ما تقول إذن ؟ ذلك أمر جديد بالنسبة اليك . ولا ضغينة في صوتك أيضاً .

بوليتشوف : حولت ضغينتي في اتجاه آخر . حسناً ، فلنتحدث الآن عن اللـّه ، والمسيح ، والروح .

عندما تزجّى الفتوة في النهب والخطيئة ،
يقضي المرء الشيخوخة في انقاذ روحه .

ميلانيا : حسناً ، تكلّم اذن !

بوليتشوف : خذي نفسك مثالاً . أنت تخدمين اللّــه ليلاً ونهاراً ، لنقل مثلما جلافيرا تخدمني .

ميلانيا : لا تكفر ! هل جننت ؟ كيف تخدمك جلافيرا ليلاً ، كيف ؟

بوليتشوف : هل أخبرك ؟

ميلانيا : لا تكفر ، أقول لك ! عد الى صوابك !

بوليتشوف : لا تعوي ! فأنا أتكلم صراحة ، وأقول كلمـات إنسانية بسيطة وليس صلوات رسمية . لقد أخبرت جلافيرا أنها ستُطرد عما قريب ، فأنت تعتقدين إذن أن الموت سيطوي عمري سريعاً . لكن ، فيم ذلك ؟ إن فاسكا دوستيجاييف يكبرني بتسع سنين وهو أكثر اعوجاجاً مني ، لكنه يتمتع بصحة جيدة وسيعيش زمناً طويلاً بَعْدُ . وزوجته امرأة محظوظـة . انني خاطئ بكل تأكيد ، وقد آذيت الناس ، و – على العموم – فأنا خاطئ جداً . ولكن البشر جميعاً يؤذون بعضهم بعضاً . هكذا هي الحياة ، وليست غيرها .

ميلانيا : لا أمامي ولا أمام الناس يجب أن تندم وتتوب ، بل أمام اللّه ! الناس لن يغفروا لك ، لكن اللّه غفور رحيم . وأنت تعرف كيف أخطأ اللصوص في الأيـام

الغابرة . ولكنهم عندما كانوا يُرجعون للّه ما هو للّه كانوا يخلصون !

بوليتشوف : طبعاً ، فالمرء إذا سرق وأعطى الكنيسةَ شيئاً ، فلن يكون لصاً وقتذاك ، بل رجلاً شريفاً .

ميلانيا : ييجـ – و – و – ور ! لا أريد الاستماع الى كفرك ! أنت لست أحمق ، يجب أن تفهم – فالشيطان لن يجربك ، اذا لم يسمح له اللّه بذلك .

بوليتشوف : شكراً جزيلاً !

ميلانيا : ماذا تعني ؟

بوليتشوف : لقد طمأنتِ بالي . فالأمر إذن على هذا الغرار – اللّه يمنح الشيطان يداً حرة في تجربتنا ، وهذا يعني أن اللّه شريك الشيطان وشريكي في الاثم . . .

ميلانيا (تنهض) : مثل هذه الكلمات . . . مثل كلماتك هذه . . . اذا أخبرت الاب نيكاندر بها . . .

بوليتشوف : لماذا ، أين أخطأت ؟

ميلانيا : أيها الهرطوقي ! يا للأفكار المنصبة في رأسك المريض ! ألا تفهم أن اللّه إذا سمح للشيطان بتجربتك – فهذا يعني أن اللّه هجرك ؟

بوليتشوف : هجرني ، أليس كذلك ؟ لماذا ؟ ألأنني أُولعت بالمال ولأنني لا أزال مغرماً بالنساء ، ولأني تزوجت أختك الحمقاء تلك من أجل مالها ، وكنت عشيقك ! ألهذا هجرني ؟ أنت ، أيها الغراب الكبير الشدقين ، تقفين هناك وتنعبين ، وليس في رأسك أثر من شعور أو إدراك !

ميلانيا (معقودة اللسان) : ما هذا ، يا ييجور ؟ ماذا أصابك ؟
هل جننت ؟ ارحمنا يا اللّه . . .

بوليتشوف : تصليّن ليل نهار ، والأجراس تدق فوقك ، ولمن تصلّين – أنت لا تعرفين اطلاقاً !

ميلانيا : ييجور ! انت تسقط الى أعماق الجحيم ! الى شدقيّ جهنم . . . في مثل هذه الأيام . . . حيث جميع الأشياء تنحو الى الخراب والدمار . . . وعرش القيصر يهتز ويتزعزع تحت وقع قوى الشر . . . إنه زمن المسيح الدجّال . . . ولعلّ يوم الدينونة قاب قوسين منا . . .

بوليتشوف : لقد اخترت وقتاً مناسباً لذكره ! يوم الدينونة ! المجيء الثاني للمسيح ! آه أنت – أنت ، يا غُراب ! ترفرفين ههنا وتنعبين ! هيا الآن ، اليك عني ، وامضي الى كهفك واعشقي فتيات جوقتك ! وعوضاً عن المال ، ستحصلين مني على هذا – انظري ! (يمدُّ لها لسانه .)

ميلانيا (مصعوقة ، تكاد تتهاوى في مقعد قريب) : آه ، يا للنذل . . .

بوليتشوف : اذا كانت جلافيرا عاهرة زانية ، فما أنت ؟ ما أنت ؟ ايه ؟

ميلانيا : كذاب ! أنت كذاب ! (تثب على قدميها .) أيها الغشّاش ! لسوف تنفق سريعاً ! يا حشرة !

بوليتشوف : إليك عني ! أخرجي قبل أن . . .

ميلانيا : أفعى . . . شيطان . . . (تخرج .)

بوليتشوف (وحيداً ، يحكُ جنبه الأيمن ويصيح مزمجراً) : جلافيرا ! هيه . . .

(تدخل كسينيا)

كسينيا : ما الأمر ؟ أين ميلانيا ؟
بوليتشوف : طار العصفور .
كسينيا : هل تشاجرت معها من جديد ؟
بوليتشوف : أتنوين البقاء هنا طويلاً ؟
كسينيا : ييجور ، هلا تركت لي فرصة للتفوه بكلمة واحدة . لقد امتنعت عن الحديث معي تماماً في المدة الأخيرة ، وكأنني قطعة من الأثاث . لماذا تحملق فيَّ على هذا المنوال ؟
بوليتشوف : تابعي ، تابعي حديثك !
كسينيا : ما هذا الذي يجري في هذه الدار ؟ أنهاية العالم أم ماذا ؟ لقد حوّل صهرنا جناحه في الطابق العلوي الى حانة حقيقية ، وثمة أناس يتحلّقون ويتحدثون طوال ساعات مديدة . ولقد شربوا البارحة سبع زجاجات من الخمر الأحمر ، هذا عدا الفودكا . . . ويشكو البواب اسماعيل أن الشرطة تضايقه – تستوضحه باستمرار عن القادمين الى منزلنا . وفوق يعزفون باستمرار اللحن ذاته ويتحدثون عن القيصر ووزرائه . ويتكرر هذا في كل يوم – حانة حقيقية . لم تحزن ؟
بوليتشوف : تابعي ، تابعي ! عندما كنت شاباً ، كنت أعشق الجلوس في حانة ، صحبة الموسيقى .

كسينيا : فيمَ جاءت ميلانيا الى هنا ؟
بوليتشوف : لا تجيدين الكذب ، يا اكسينيا ! انت أغبى من ذلك بكثير .
كسينيا : ماذا قلت كذباً ؟ ومتى ؟
بوليتشوف : هذه اللحظة بالذات ، لقد جاءت ميلانيا الى هنا بالاتفاق معك كي تتحدث عن مالها .
كسينيا : من قال إنني اتفقت معها – عمّ تتحدث ؟
بوليتشوف : أوه – كفى !

(يدخل دوستيجاييف وزفونتسوف والاب بافلين ، وقد بدا الانتعاش في ملامحهم)

دوستيجاييف : هلاّ أصغيت الى الأخبار التي حملها الأب بافلين من موسكو ، يا ييجور . . .
كسينيا : أفلا يحسن ان تستلقي في فراشك ، يا ييجور ؟
بوليتشوف : إنني مصغ اليك ، أيها . . . الأب !
بافلين : في جعبتي قليل من الأخبار الطيبة وفي اعتقادي أن الطيب منها سيئ جداً ايضاً ، لأن أحداً لا يستطيع أن يفكر في شيء أفضل من الحياة التي كنا نعيشها قبل الحرب .
دوستيجاييف : كلا ، كلا ، انا لا أوافق !

(زفونتسوف يهمس شيئاً في اذن حماته)

كسينيا : أهي تبكي ؟
دوستيجاييف : من يبكي ؟
كسينيا : الراهبة .
دوستيجاييف : ما بالها ؟
بوليتشوف : أسرع وانظر ماذا يرعبها . وأنت ، أيها الأب ، استرح ههنا وهات ما عندك من أخبار .
دوستيجاييف : ترى ، ما الذي يبكي ميلانيا ؟
بافلين : يسود موسكو اضطراب عظيم . وحتى أصحاب العقول الراجحة يؤكدون أن القيصر يجب أن يُخلع عن العرش ، وذلك لعدم كفاءته .
بوليتشوف : كان كفوءاً طيلة السنوات العشرين المنصرمة . . .
بافلين : القوة البشرية تتلاشى على كرّ السنين .
بوليتشوف : يوم احتفل آل رومانوف بعيدهم الثلثمائي عام ١٩١٣ ، صافحني نيقولاي . وابتهجت الأمة بأسرها في ذلك الحين . كوستروما * بأسرها .
بافلين : نعم ، لقد حدث هذا . تلك حقيقة واقعة . . . لقد ابتهج الشعب .
بوليتشوف : وماذا حدث بعدئذ ؟ حصلنا على الدوما ايضاً . . . لا ، ليس هو القيصر – بل شيء آخر في الأساس بالذات . . .
بافلين : الأساس هو الحكم المطلق .

---

* مدينة صغيرة على نهر الفولغا في روسيا الوسطى . **الناشر** .

بوليتشوف : كل فرد يقف لوحده . . . بقوته الخاصة . . . نعم ، لكن أين هي ، هذه القوة ؟ ما أن حدثت الحرب ، حتى لم نجد شيئاً منها .

بافلين : كان الدوما مسؤولاً عن تقويض قوانا .

إيليزافيتا (على الباب) : أتعرّفه ، أيها الأب بافلين ؟

بافلين : يا له من سؤال !

إيليزافيتا : أين هو زوجي ؟

بافلين : كان هنا .

إيليزافيتا : لكم تبدو جدياً هذا النهار ، أيها الأب بافلين ! (تختفي .)

بوليتشوف : أبانا . . .

بافلين : ماذا كنت تقول ؟

بوليتشوف : جميعنا آباء . اللّه أب ، والقيصر أب ، وأنت أب ، وأنا أب . ومع ذلك فجميعنا ضعفاء لا نملك ثمالة من قوة ، وجميعنا نحيا لنموت . لا أقصد نفسي ، وإنما أتحدث عن الحرب ، الموت الكبير . ذلك يشبه ملعب سيرك أفلت نمراً متوحشاً على الناس .

بافلين : أفرخ روعك ، يا ييجور فاسيليفتش . . .

بوليتشوف : وبماذا أفرخ روعي ؟ ومن يهدئ ثائرتي ؟ وكيف أفرخ لي روعي اذن . . . يا أبانا ! أرني قوتك !

بافلين : اقرأ الكتاب المقدّس . اقرأ العهد القديم ، ومن المستحسن مثلا أن تتذكر يسوع . . . ان الحرب محتومة الناموس . . .

بوليتشوف : دعك منها ! أي صنف من الناموس هذا ؟ هراء

ليس غير ! ولاحـــول لاحد على ايقـــاف الشمس ، تهرف . . .

بافلين : التذمر من اللّه خطيئة مميتة . يجب أن نتقبـــل بتواضع ووداعة وبقلب تائب الدينونة المفروضة علينا بسبب حياتنا الخاطئة .

بوليتشوف : وهل تقبلت أنت باذعان اهانة ألكسي جوبين وكيل الكنيسة ؟ كلا ، بل رفعت شكوى ضده امـــام المحكمة ، وطلبت الى زفونتسوف أن يكون محاميك ، وقد شدّ المطران أزرك ، أليس كذلك ؟ وأنا — أمام أية محكمة أرفع الشكوى ضد علتي ودائي ؟ ضد موتي قبل الاوان ؟ وهل تستسلم للموت في اذعان وتواضع ؟ بوداعة وقلب ثابت ؟ ايه ؟ كلا ، بل سوف تزمجـــر وتزعق !

بافلين : مكانتي تمنعني من الاصغاء الى مثل هذا الكلام . فهذا الكلام . . .

بوليتشوف : دع عنك هذا ، يا بافلين ! أنت انسان . وليست غفارتك غير صباغ واق — أما تحتها فأنت انســـان مثلي . وبالمناسبة ، يقول الطبيب ان قلبك سيء فهو مصاب بالاستحالة الشحمية . . .

بافلين : الى أين يقودك مثل هذا الكلام ؟ فكِّر ، وليكـن في قلبك الخوف ! لقد ثبت منذ القدم . . .

بوليتشوف : ثبت ، لكن ليس بصورة راسخة جدا فيمـــا يبدو .

بافلين : كان ليف تولستوي هرطوقيا ، وقد حرمته الكنيسة

ولعنته لكفره وجحوده ، ولكنه التجأ الى أعماق الغابات هاربا من الموت ، مثله مثل وحش مفترس .

(تدخل كسينيا)

كسينيا : ييجور فاسيليفيتش ، جاء موكي ، وهو يقول ان الشرطة اعتقلت ياكوف الليلة الفائتة ، وهو يريد أن يعرف . . .

بوليتشوف : حسنا ، شكرا أيها الأب بافلين . . . على موعظتك ! لسوف ازعجك فى وقت آخر . (يخرج بافلين .) نادي باشكين الى هنا ، يا أكسينيا . واخبري جلافيرا أن تحضر عصيدة . وفودكا برتقال .

كسينيا : الفودكا . . . لا يمكن . . . (تخرج)

بوليتشوف : كل شيء ممكن ! هيا ، اذهبي . (يتطلع حواليه فيهمهم ويدمدم .) الأب . . . بافلين . . . جوبلين . . . يجب أن تعتاد التدخين ، يا ييجور . فالأمور أخف وطأة فى سحابة من الدخان . فبعض الأشياء لا تمكن رؤيتها . (يدخل باشكين) ماذا هنالك ، يا موكي ؟

باشكين : كيف حالك ، يا ييجور فاسيليفيتش ؟

بوليتشوف : تزداد تحسّنا كل يوم . اذن ، لقد اعتقل ياكوف ؟

باشكين : نعم ، الليلة الفائتة . يالها من فضيحة !

بوليتشوف : اعتقل لوحده ؟

باشكين : يقال انهم اعتقلوا معه ساعاتيا فتى ؛ وكالميكوفا ، المعلمة التي كانت تدرس ألكسندرا ييجوروفنـــا ؛ ويبريخونوف الوقّاد ، وهو متهوّر مشهور . حوالـــي العشرة ، حسب ما يقولون .

بوليتشوف : وجميعهم من نمط «فليسقط القيصر» ؟

باشكين : من مختلف الأنماط . بعضهم ضد القيصر ، وبعضهم الآخر ضد جميع الأغنياء ويريدون العمّال أن يتسلموا دفة الدولة . . .

بوليتشوف : هراء !

باشكين ؛ طبعا .

بوليتشوف : سيتلفون الدولة في غمرة السكر .

باشكين ؛ هذا ما لا شك فيه .

بوليتشوف : نعم . . . ولنفترض أنهم لم يفعلوا !

باشكين : وماذا يفعلون من غير أرباب العمل ؟

بوليتشوف : أنت على حق . لن يستطيعوا المضيّ من دونك ودون فاسكا دوستيجاييف .

باشكين : وأنت رب عمل بدورك . . .

بوليتشوف : طبعا ! أنا ايضا . وماذا يغنون ؟

باشكين (متنهدا) : لقد تخلينا عن العالم القديم . . .

بوليتشوف : ثم ماذا ؟

باشكين : ونفضنا غباره عن أقدامنا . . .

بوليتشوف : هذا أشبه بالصلاة .

باشكين : أي نوع من الصلوات هذا ؟ هم يقولون : نحن نكره القيصر ، والقصور . . .

بوليتشوف : آها ، هكذا ؟ أبالسة ماكرون ! (يفكر برهـة) حسنا ، وماذا تريد ؟

(تحمل جلافيرا العصيدة والفودكا)

باشكين : أنا ؟ لا شيء .

بوليتشوف : وفيم مجيئك ، اذن ؟

باشكين : لأستوضح عمن أضع مكان ياكوف .

بوليتشوف : سيرجي بوتابوف .

باشكين : لـه ذات الأفكار أيضـا – فهو لا يؤمن بالله أو القيصر . . .

بوليتشوف : اوه ، فهو واحد منهم ايضا ؟

باشكين : هل لي أن أقترح – موكرووسوف . فهو توّاق الى العمل لحسابك . وهو رجل مثقف ونشيط .

جلافيرا : تبرد عصيدتك .

بوليتشوف : ذلك الشرطي ، ذلك المرتشي ؟ ما الذى يسعى اليه ؟

باشكين : أضحى عمل الشرطة عملا خطيرا هذه الايام ، ممـا جعل الكثيرين ينسحبون منها .

بوليتشوف : خطيرا ؟ أليس كذلـك ؟ الجرذان ! لابأس ، ابعث لي بوتابوف الى هنا غدا صباحا . تستطيــــع الانصراف . . . جلاشا ، هل جاء عازف البوق ؟

جلافيرا : انه قابع في المطبخ .

بوليتشوف : تستطيعين ادخاله بعدما أتناول عصيدتي . لماذا يسود الهدوء الدار بأسرها ؟

جلافيرا : لأنهم ، جميعا ، في الطابق العلوى .

بوليتشوف (يجرع قدحا من الفودكا) : أوه ، لا بأس ، لماذا أنت مضطربة ، ما خطبك ؟

جلافيرا : أتمنى ألا تشرب . لا تؤذ نفسك ، لا تمرض ! أترك كل شيء وارحل عنهم . لسوف يلتهمونك حيا — كالديدان ! فلنرحل . . . الى سيبيريا . . .

بوليتشوف : دعيك من هذا ، فهو يوجع . . .

جلافيرا : سنذهب الى سيبيريا ، وسأشتغل . . . ما الذى يربطك الى هذه البقعة ؟ ولماذا ؟ ليس من يبالي بك — بل هم جميعا ينتظرون موتك . . .

بوليتشوف : كفى ، يا جلاشا . لا تكدّريني . فأنا عالم بكل شيء وأرى كل شيء ! وأعرف من انت بالنسبة لي . . . أنت وشورا . . . لقد حصلت على ما حصلت عليه من الحياة ، بينا خسارة لا تعوّض . . . لربما ستتحسن حالي . . . حسنا ، نادي عازف البوق .

جلافيرا : كل عصيدتك اولا .

بوليتشوف : آه ، بئس العصيدة ! نادي شورا اليّ .

(يبقى بوليتشوف وحيدا ، يجرع الكأس تلو الكأس من الفودكا بشره ونهم ، يدخل عازف البوق . وهو ذو وجه مجوني شاحب ، وملامح تدعو الى الشفقة ، وبوق ضخم موضوع في كيس معلق على كتفه .)

عازف البوق : أتمنى لسعادتك الصحة الجيدة .

بوليتشوف (مذهولا) : طاب يومك ! اجلس . (يصيح .) أغلقي الباب ، يا جلاشا ! وهكذا ، فهذا أنت .

عازف البوق : نعم ، يا سيدي .

بوليتشوف : أنت لا تملأ العين ! قـل لنـا ، كيف تشفي المرضى ؟

عازف البوق : دوائي ، يا صاحب السعـادة ، بسيط كل البساطة ، غير أن الناس اعتادوا اثقال أنفسهم بأدوية مستحضرة عند الصيادلـة . ويأبون تصديقي ، ولذا أطلب دائما أن أقبض أجري سلفا .

بوليتشوف : ليست تلك بالفكرة السيئة . لكن ، هل تشفي الناس مع ذلك ؟

عازف البوق : شفيتهم بالمئات .

بوليتشوف : ولا أرى أنك أثريت .

عازف البوق : لا يثري المرء بالأعمال الطيبة .

بوليتشوف : آها ، أصغوا اليه الآن ! وما نوع الأدواء التي تشفيها ؟

عازف البوق : جميع الأدواء مأتاها واحد — هواء فاسد في البطن ، ولهذا كان دوائي يصلح للجميع .

بوليتشوف (ضاحكا) : مرحى ! حسنا ، والآن ، أرنا كيف يعمل بوقك هذا . . .

عازف البوق : أتستطيع أن تدفع روبلا ؟

بوليتشوف : روبل ؟ سنجده ، كما اعتقد . جلاشا ، هل عندك روبل ؟ اليك . ذلك رخيص .

عازف البوق : هذا للبداية فقط . (يفك الكيس ويستخرج منه بوقا نحاسيا)

(تدخل شورا راكضة)

بوليتشوف : ياله من سماور ! انظري يا شورا ، ما اروعه طبيبا ! حسنا ، هلا نفخت فيه ؟

(ينظّف العازف حلقومه ، وينفخ نفخة – غير قوية ولا عالية ، ثم يسعل)

بوليتشوف : أهذا كل شيء ؟
عازف البوق : أربع مرات في اليوم لمدة خمس دقائق – ويتم كل شيء !
بوليتشوف : وتستنفد قوى الانسان ؟ ويموت ؟
عازف البوق : أبدا ! لقد شفيت الناس بالمئات .
بوليتشوف : أرى ذلك . حسنا ، قل لي الآن الحقيقة : ماذا تعتبر نفسك ، أحمق أم محتالا ؟
عازف البوق (متنهدا) : اذن ، أنت الآخر ترفض تصديقي ، مثلك مثل الجميع .
بوليتشوف (ضاحكا) : لا تبعد البوق عنك بعد . أخبرني صراحة ، أأنت أحمق أم محتال ؟ سأعطيك مالا .
شورا : لا تنهره ، يا أبتاه !
بوليتشوف : أنا لا أنهره ، يا شورا . ما اسمك ، أيها الطبيب ؟
عازف البوق : جبرائيل أوفيكوف .

بوليتشوف : جبرائيل ؟ (يضحك .) أوه ، لعن اللّه هذا كله ! . . أهو جبرائيل ، ها ؟

عازف البوق : انه اسم عادى . . . ولم يسخر أحد منـــه أبدا !

بوليتشوف : حسنا . . . من أنت : أأحمق أم محتال ؟

عازف البوق : اتمنحني ستة عشر روبلا ؟

بوليتشوف : جلاشا – هاتي المال اليّ ! انه في غرفـــة النوم . . . لمَ ستة عشر ، يا جبرائيل ؟

عازف البوق : أخطأت ! كان يجب أن أطلب أكثر من ذلك .

بوليتشوف : اذن ، فأنت أحمق ؟

عازف البوق : كلا لست بأحمق . . .

بوليتشوف : محتال اذن ؟

عازف البوق : ولست بمحتال أيضا . . . أنت تعرف من تلقاء نفسك – لا يستطيع المرء أن يعيش من دون أن يخدع الناس .

بوليتشوف : هذا صحيح ! ذلك ليس ظريفا ، يا عزيزي . ولكنه صحيح !

شورا : ولكن ، أليس من العار خداع الناس ؟

عازف البوق : ليس اذا كانوا يؤمنون به .

بوليتشوف (مهتاجا) : وهذا صحيح أيضا ! أتفهمين ، يـــا شورا ؟ انه صواب تماما ! اما الأب بافلين فهو لم يقل شيئا من هذا القبيل ! فهو لا يجسر !

عازف البوق : يجب أن تنفحني مبلغاً زائداً لقاء الحقيقة . فبوقي وشرفي ، يساعد بعض الناس .

بوليتشوف : أصدقك – أعطيه خمسة وعشرين روبـــلا ، يا جلاشا . أعطيه أكثر . أعطيه كل ما عندك !
عازف البوق : شكرا جزيلا ، يا سيدي . لعلك تريد تجربة البوق ؟ الشيطان وحده يعرف كيف ينفع ، ولكنه ينفع !
بوليتشوف : كلا شكرا . ايه ، جبرائيـــل ، جبرائيـــل ! (يضحك .) والآن ، فلنر ، أرني كيف يشتغل . . . تعال ، انفخ فيه ! بقوة !

(عازف البوق ينفخ بشدة نغمـــا أصمّ . جلافيرا ترنو الى بوليتشوف بقلق . وشورا تسدّ أذنيها وتضحك)

بوليتشوف : أنفخ بكل ما فيك من قوة !

(يهرع الزوجان دوستيجاييف والزوجان زفونتسوف وباشكين وكسينيا الى الغرفة)

فارفارا : ما هذا ، يا أبتاه ؟
كسينيا : ييجور ، ماذا تقصد من جديد ؟
زفونتسوف (الى عازف البوق) : أأنت سكران ؟
بوليتشوف : دعوه وشأنه ! لا تتجاسروا ! استمرّ ، يـــا جبرائيل . هلا حطمت طبلة آذانهم ! هذا هو جبرائيل رئيس الملائكة ينفخ في البوق معلنا نهاية العالم ! . .
كسينيا : آه ، يا الهي ! لقد جنّ . . .

باشكين (الى زفونتسوف) : أخبرتك بذلك ، وهذا أنت ترى بنفسك .

شورا : أتسمع ، يا أبتاه ؟ يقولون انك جننت ! اذهب ، أيها العازف في البوق ، اذهب .

بوليتشوف : لا ، لا تذهب . أنفخ ، يا جبرائيل ، أنفخ ! انه يوم الدينونة ! نهاية العالم ! . . أنفخ – خ – خ !

ستار

الفصل الثالث

غرفة الطعام . جميع ما في الغرفة يبدو وكأنما نقل من موضعه الأصلي . الطاولة لم تنظف ؛ فهي مفروشة بالصحون القذرة ، والسماور ، وقراطيس متاجر ، والزجاجات . وفي زاوية الغرفة عدة حقائب . تاييسيا ، وهي راهبة مبتدئة ، في قلنسوة طويلة مدببة ، تفتح احدى الحقائب . جلافيرا تتوانى بالقرب منها حاملة صينية في يدها . الغرفة منارة بقنديل يتدلى فوق الطاولة .

جلافيرا : أجاءت الأم ميلانيا للاقامة طويلا ههنا ؟
تاييسيا : لا أدري .
جلافيرا : لمَ لمْ تنزل في ضيافة الكنيسة ؟
تاييسيا : لا أدري .
جلافيرا : كم هو عمرك ؟
تاييسيا : تسع عشرة سنة .

(يظهر زفونتسوف على السلّم)

جلافيرا : وأنت لا تعرفين شيئا ! ماذا دهاك ؟ أهمجية أنت ، أم ماذا ؟
تاييسيا : محظور علينا الحديث مع العلمانيين .
زفونتسوف : هل شربت الراهبة شايها ؟

جلافيرا : كلا .
زفونتسوف : اذن يفضل أن تسخني السماور تأهبا لذلك .

(تحمل جلافيرا السماور وتخرج)

زفونتسوف : ماذا حدث هناك – هل أخافكن الجنود ؟
تاييسيا : نعم ، يا سيدي .
زفونتسوف : وماذا فعلوا حتى أخافوكن ؟
تاييسيا : قتلوا بقرة ، وهددوا بحرق الدير . اعذرنـــــي .
(تخرج حاملة حزمة من البياضات بين يديها .)
فارفارا (من المدخل) : يا للطقس الماطر! أكنت تثرثر مع المبتدئة هنا ؟
زفونتسوف : هل تعرفين ، شيء مزعج أن تقيم راهبـــة فى دارنا .
فارفارا : لم تصبح دارنا بعد . وماذا عن تياتين ؟ هل وافق ؟
زفونتسوف : تياتين حمار ، أو أنه يدعي الشرف .
فارفارا : انتظر . يلوح أن والدي ينادي . (تصغي عند باب غرفة والدها)
زفونتسوف : رغم أن الأطباء يقولون ان والدك سليم العقل ، ولكني بعد ذلك المشهد السخيف مع البوق . . .
فارفارا : أثار مشاهد كثيرة أسوأ من هذا المشهد فى زمانه . يبدو أن ألكسندرا وتياتين على أتمّ وفاق .
زفونتسوف : نعم ، الا أنني لا ارى شيئا حسنـــا في هذا .

شقيقتك الصغيرة تلك خبيثة نوعـــا ما . . . وسوف تسبب لنا كثيرا من المتاعب .

فارفارا : من المؤسف أنك لم تفكر في شيء من هذا يوم كانت تغازلك . لكنك كنت تحب ذلك وقتذاك .

زفونتسوف : كانت تغازلني لتغيظك فقط .

فارفارا : وهل أنت آسف ؟ ها قد جاء بافلين . انـــه يغدو زائرا يوميا .

زفونتسوف : لدينا هنا فضلة من الأكليروس .

(تدخل ايليزافيتا والأب بافلين يتجادلان ، يتبعهمـــا موكي باشكين)

بافلين : الصحف تكذب كعهدها . مساء الخير !

ايليزافيتا : وأنا أقول لك ان ذلك غير صحيح !

بافلين : ثبت بصورة لا تقبل الشك أن القيصر تنازل عـــن العرش ، ليس بارادتـــــه ، بل تحت ضغط القـــوة والاكراه ، وقد اعتقلته على طريق بيتروغراد جماعة من أعضاء الحزب الديموقراطـــي الدستورى . . . نعم ، يا سيدتي .

زفونتسوف : وماذا يترتب على ذلك ؟

ايليزافيتا : الأب بافلين ضد الثورة والى جانب الحرب . أما أنا فضدّ الحرب ! فأنا أريد الذهاب الى باريس . . . كفانا قتالا . ألا توافقينني ، يا فاريا ؟ أنتِ تذكريـــن

ما قال هنري كتر * مرة : «باريس أفضل من الحرب» . نعم ، أعرف أنه لم يقل هذا بالضبط ، ولكن تلك كانت خطيئته .

بافلين : لا أصرّ على شيء ، لأن كل شيء مزعزع مقلقل .

فارفارا : نحن في حاجة الى السلام ، أيهـــا الأب بافلين — السلام ! أفلا ترى كيف يتصرّف الرعاع ؟

بافلين : بوضوح تام ، للأسف ! كيف حال مريضنا ؟ كيف حاله هنا ؟ (يضع اصبعه على جبهته .)

زفونتسوف : لم يجد الأطباء أية علامات للاختلال .

بافلين : حسنا ، يسرني أن أسمع هذا . وان كان الأطباء ، على العموم ، لا يجدون شيئا دون خطأ الا أجورهم .

ايليزافيتا : ما أخبث ذلك منك ! فاريا ، لقد عزمتنا جانّا على العشاء .

باشكين : لقد أطلق سراح المساجين ، والشرطـــة في مأزق حرج .

بافلين : هكذا اذن . هذا أمر خارق ! أية حسنات تتوقع من هذه الأحداث ، يا أندريه بيتروفيتش ؟

زفونتسوف : القوى الاجتماعية تحتشد بصورة منهجيـــــة ، وسوف تقول كلمتها عما قريب . وأنا أعني بالقوى الاجتماعية الناس الذين يملكون مصالح اقتصاديـــــة ثابتة . . .

---

* الرابع (بالفرنسية) . **الناشر** .

فارفارا : اسمع ، لقد دعتنا جانّا على العشاء . . .

(تقوده جانبا وتهمس في أذنه)

زفونتسوف : افهميني ، ذلك محرج نوعا ما بالنسبة اليّ . راهبة من جهة ولعوب من جهة أخرى . . .

فارفارا : هس – س ، من فضلك !

باشكين : أندريه بيتروفيتش – لقد جاء موكرووسوف – أنت تعرفه فهو ضابط الشرطة .

زفونتسوف : نعم ؟ ماذا يريد ؟

باشكين : تخلّى عن وظيفته لأنها أمست خطرة جدا ، وهو راغب في العمل لحسابنا ، في الغابات .

زفونتسوف : وهل يناسبنا ذلك ؟

فارفارا : انتظر ، يا أندريه . . .

باشكين : يناسبنا تماما . فلابتيف سيرفع الآن رأسه وسيتمرد . أما دونات ، كما تعلم – فهو فتى غير ملائم ، زد على أنه منشقّ ، ويبربر دون انقطاع عن قانون الحقيقة ، وأية حقيقة يستطيع المرء أن يتوقع عندما . . . حسنا ، تستطيع فهم ذلك بنفسك !

زفونتسوف : لكن هذا هراء كلّه ! فنحن نشاهد بواكير انتصار الحقيقة بالذات . . .

فارفارا : أوه ، أنتظر يا أندريه ، من فضلك .

زفونتسوف : الحقيقة والعدالة .

فارفارا : ماذا تريد ، يا موكي ؟

باشكين : أنا أريد توظيف موكرووسوف . واقترحت ذلك على ييجور فاسيليفيتش .

فارفارا : وماذا قال ؟

(يعبس زفونتسوف ويغادر الغرفة)

باشكين : لم يقل شيئا محددا .

فارفارا : خذ موكرووسوف اذن .

باشكين : ألا تودين القاء نظرة عليه ؟

فارفارا : لماذا ؟

باشكين : لتتعرّفي اليه فقط . فهو هنا .

فارفارا : حسنا ، ناده اذن . . .

(يخرج باشكين الى المدخل . فارفارا تخطّ شيئا فى مذكرتها . يعود باشكين يصحبه موكرووسوف ، وهو رجل قميء مدوّر الوجه ، ذو حاجبين مرتفعين بتقطيبة دهشة وشده على الدوام ، ورغم أن ابتسامة صغيرة تتجوّل على شفتيه ، الا أنه يبدو وكأنه يتهيأ لقذف شتيمة قاسية . يرتدي بزّة الشرطة ، ويتدلى مسدس على وركه . يفرقع بحذائيه ، وينتصب في وضع تهيؤ واستعداد)

موكرووسوف : أتشرف بان اقدم نفسي ، يا سيدتي ! في خدمتك ، يا سيدتي . . .

فارفارا : تسرني رؤيتك . أرى أنك في بزّتك الرسمية ؟ سمعت أن الشرطة ينزع سلاحها .

موكرووسوف : هذا صحيح ، يا سيدتي . ومن الخطر علينا أن نظهر في الشوارع بمظهرنـــا العادى ، ولذا أرتدي معطفا مدنيا ، رغم أني متسلح . أما الآن ، باعتبار أن آمالا كاذبة قد شاعت ، فقد هدأ الرعاع واستكانوا — ولذا . . . فأنا لا أحمل سيفي .

فارفارا : ومتى تتوقع أن تبدأ العمل لحسابنا ؟

موكرووسوف : أنا منذ زمن بعيد خادمكم المطيـــع بالفكر ، يا سيدتي . وأنا على استعداد للانطلاق غدا الى الغابات اذا شئت . فأنا أعزب ، و . . .

فارفارا : وهل تظن ان كل هذا سيدوم طويلا ، اعني ، هذا العصيان ؟

موكرووسوف : طوال الصيف ، على ما أعتقد .

فارفارا : طوال الصيف فقط ؟

موكرووسوف : وبعده يتدخل المطر والجليد ، فيمسي التلكؤ في الشوارع أمرا مزعجا .

فارفارا (مبتسمة) : لا اظن ان الثورة رهن بالطقس .

موكرووسوف : اغفري لي ، يا سيدتي ، بل هي رهن به بكل تأكيد ! فللشتاء تأثير مبرّد .

فارفارا (ما تزال تبتسم) : أنت متفائل .

موكرووسوف : الشرطيون متفائلون عموما .

فارفارا : آه ، حقا ؟

موكرووسوف : من دون ريب ، يا سيدتي . ذلك أن الشرطة تعي قوتها .

فارفارا : هل خدمت في الجيش ؟

موكرووسوف : نعم ، يا سيدتي . خدمت في فرقة بوزولوك الاحتياطية . كنت ملازما ثانيا .
فارفارا (تمدّ يدها) : حسنا ، الوداع ، وحظا طيبا .
موكرووسوف (يقبل يدها) : اني شاكر لك جزيل الشكر .

(ينحني ويخرج مقرقعا بعقبيه)

فارفارا (الى باشكين) : يبدو أنه أحمق ، أليس كذلك ؟
باشكين : ليس في هذا شيء من الأذية . أنظري الى ما يفعل الناس الأذكياء . أعطيهم فرصة فيقلبون وجه العالم ، مثل الجيب تماما .
بافلين (الى باشكين وايليزافيتا) : يجب أن يمنح الاكليروس الحقّ المطلق في الوعظ والتبشير بحرية تامة ، والا لم ينتج شيء من ذلك !

(تدخل جلافيرا وشورا ، يسندان ييجور بوليتشوف . تسود السكينة الغرفة . الجميع يراقبونه . أما هو فيعبس)

بوليتشوف : حسنا ؟ لماذا خرستم جميعا على حين فجأة ؟ كنتم توعوعون وتجمجمون . . .
بافلين : بغتنا بالمشهد غير المتوقع لـ . . .
بوليتشوف : أي مشهد ؟
بافلين : مشهد رؤية رجل مقاد . . .
بوليتشوف : مقاد؟ عندما تتضعضع ساقا الانسان ، فيجب

أن يقاد اذن ! مقاد ! هل أفرج عن ياشكا لابتيف ، يا موكي ؟

باشكين : نعم ، أفرج عن جميع المساجين .

زفونتسوف : يعني المساجين السياسيين .

بوليتشوف : اذن ، فلابتيف حر ، والقيصر سجين ! ما قولك في هذا ، أيها الأب بافلين ؟

بافلين : لست خبيرا في هذه القضايا ، لكن يستحسن ، في رأيي المتواضع ، أن نتأكد أولا مما ينوي هؤلاء الرجال أن يقولوا ويفعلوا . . .

بوليتشوف : سيختارون قيصراً آخر بالطبع . فسوف تمسكون جميعا بخناق بعضكم بعضا ان لم يكن هناك قيصر . . .

بافلين : يبدو وجهك منتعشا اليوم ؛ من الواضح أنك تستعيد صحتك وقواك ؟

بوليتشوف : هذا صحيح ، فأنا أستعيدهما ! . . أنتم ، أيها المتزوجون ، وأنت ، يا موكي ، دعوني وحيدا مع بافلين . لا تذهبي ، يا شورا .

(باشكين يخرج الى المدخل . آل زفونتسوف وآل دوستيجاييف يصعدون الى الطابق العلوى . بعيد لحظة أو لحظتين تهبط فارفارا حتى نصف السلّم وترهف أذنيها)

شورا : اضطجع ، يا أبتاه .

بوليتشوف : لا أريد . ما الأمر ، أيها الأب بافلين ؟ أعتقد أنك جئتني بشأن ناقوس الكنيسة ؟

بافلين : كلا . جئت على أمل أن أراك في حال أفضل ، ولـــم أخطئ في هذا . لكنني ، وأنا أتذكر عطاياك السخية الوافرة في الماضي ، هذه العطايا التي أسهمت في عظمة المدينة وكنيستها . . .

بوليتشوف : أنت لا تصلي من اجلي كما يجب ، ولذا تسوء حالي . ولا أشعر برغبة أن أدفع للّه . ولماذا أدفع ، على أية حال ؟ لقد دفعت الكثير ، فما الفائدة ؟

بافلين : ان هباتك وعطاياك . . .

بوليتشوف : مهلا ! أريد أن أطرح عليك سؤالا : أفلا يجب أن يخجل اللّه من نفسه ؟ لِمَ هو يرسل الموت ؟

شورا : آه ، لا تتحدث عن الموت ، أرجوك !

بوليتشوف : صه ، لا تتكلمي أنت ! بل اصغي فقط . فأنا لا أتحدث عن نفسي .

بافلين : ينبغي ألا تكدّر نفسك بمثل هذه الأفكار . ومـــا اهمية الموت عندما تكون الروح خالدة ؟

بوليتشوف : لم هي ، اذن ، محشورة في قطعة من لحم وسخ ؟

بافلين : ان الكنيسة لاتعتبر هذا السؤال عبثا فحسب . . . ولكن . . .

(تضحك فارفارا في منديلها وهي قابعة على السلّم)

بوليتشوف : لا تتلعثم ! قل لنا بصراحة . شورا ، أتذكرين عازف البوق ؟

بافلين : في حضور الكسندرا ييجوروفنا . . .
بوليتشوف : آه ، لا تهتمّ بهذا . عليها أن تعيش فعليها أن تعرف ! أنا عشت حياة مديدة ، وها أنا أسألك الآن : لماذا تعيش ؟
بافلين : انني أقوم بالخدمة المقدسة في الكنيسة . . .
بوليتشوف : أعرف أنك تخدم في الكنيسة ! لكنك ستموت عاجلا أو آجلا . فماذا يعني هذا ؟ ما هو – موتنا هذا ، يا بافلين ؟
بافلين : أسئلتك . . . غير منطقية ولا مُجدية . واغفر لي – اذ يجب ألّا تفكر في أشياء أرضيّة في مثل هذا الوقت . . .
شورا : اياك ومثل هذا القول !
بوليتشوف : لقد جئت من الأرض – وأنا أرضي بكل ذرة من ذراتي .
بافلين (ينهض) : ليست الأرض سوى تراب ورماد . . .
بوليتشوف : تراب ورماد ؟ اذن فأنت . . . اذن فأنت نفسك يجب أن تفهم أن الأرض ليست سوى تراب ورماد ! تراب ورماد – ومع ذلك فأنت تلبس غفارة من الحرير . تراب ورماد – وصليب من الذهب ! تراب ورماد – ومع ذلك فأنت شره نهم . . .
بافلين : أنت تقترف خطايا دنسة في حضور هذه الفتاة المراهقة . . .

(فارفارا تصعد السلّم بسرعة)

بوليتشوف : انهم يدربون الحمقى أشباهك مثلمـا يدربون الكلاب لملاحقة الأرانب البرية . . . لقد أصبحتم اغنياء على حساب المسيح المسكين . . .

بافلين : مرضك يجعلك حقودا ، فتهدر كالدب المتوحش . . .

بوليتشوف : اذن ، فأنت ذاهب ، ها ؟ آها . . .

(**بافلين** يخرج)

شورا : لا يجوز أن تزعج نفسك ، يا أبتاه . فذلك يضرّ بصحتك . لشدّ ما أنت نزق !

بوليتشوف : لا تراعي ! لم أفعل شيئا آسف عليه آه ، لا أستطيع أن أطيق هذا الكاهن ! احفظي عينيك وأذنيك مفتوحة . فأنا أفعل هذا عن قصد كي تفهمي . . .

شورا : خمنت ذلك من نفسي . . . فلست طفلة ، ولا حمقاء !

(يظهر زفونتسوف على السلّم)

بوليتشوف : قرروا أني مجنون ، بعــد حفلة عازف البوق تلك ، لكنّ الأطباء كذّبوهم ! أنت تصدقين الأطباء ، يا شورا ، ايه ؟

شورا : أنا أصدقك أنت . . . وأنت وحدك . . .

بوليتشوف : يا لك من فتاة طيبــة ! لا تخافي ، فعقلي في أحسن حال . والأطباء يعرفون ذلك . وصحيح أنــي

اصطدمت بشيء قاس . ولكن كل انسان يود أن يعرف ما معنى الموت . أو الحياة ، مثلا ! أتفهمينني !

شورا : لا أعتقد أنك شديد المرض حقا . يجب أن تغادر الدار هذه . ان جلافيرا عـــلى حقّ . يجب أن تتداوى بصورة جدية . ولكنك لا تسمع لأحد .

بوليتشوف : انني اسمع للجميع . ولسوف نجرّب الآن تلك الساحرة الطبيبة . فقد تفيدني ، من يعلم . حان وقت قدومها . فالألم . . . انه أشبه بحزن قارض !

شورا : كفى ، يا عزيزي ! أوه ، كفى ! اضطجع ، هيا . . .

بوليتشوف :تزداد الأمور سوءا عندما أضطجع . هذا يعني الاستسلام ، كما هي الحال في حفلات الملاكمة . أنا أريد أن أتحدث . أريد أن أروي لــك أشيـــاء . افهمي مقصدي – أنا أعيش في الشارع الغلط ! وقد ارتبطت مع الناس الغلط – وجميعهم من الغرباء . . . ثلاثون سنة مرّت عليّ ، وأنا بين الغرباء . ولا أريـــد أن يحدث لك مثل هذا الأمر! كان والدي يسوق عوامات . وأنا – أنظري اليّ . . . لا أستطيع تفسير ذلك لك .

شورا : لا تتسرّع ، تكلّم مثلمــــا اعتدت أن تروي لي الأقاصيص .

بوليتشوف: تلك لم تكن أقاصيص – لم أكن أروي لك دائما سوى الحقيقة الناصعة . أفلا ترين . . . هؤلاء الكهّان والقياصرة والحكام . . . ماذا أريد منهم بحق الشيطان ؟ لا أؤمن باللّه . وكيف يمكن أن يوجد اللّه ؟ أنت ترين بنفسك . . . وليس ثمة أناس طيبون أيضا .

هم نادرون مثل . . . مثل العملة المزورة ! وأنت ترين الناس ومن يشبهون . وهؤلاء هـــم يتخبطون من جراء الحرب ، وقد جنّ جنونهم ! لكن ، ما لي ولهم ؟ وماذا يريد ييجور بوليتشوف منهم ؟ وأنت . . . أنت ، كيف ستعيشين واياهم ؟

شورا : لا تقلق عليّ . . .

كسينيا (تدخل) : جاءت تونيا وشقيقها لرؤيتـــك ، يـــا ألكسندرا ، يصحبهما ذلك الفتى . . .

شورا : فلينتظروا .

كسينيا : هيا أسرعي اليهم . لا بدّ لي أن أتحدث مع والدك .

بوليتشوف : وهل لا بدّ لي من ذلك ؟

شورا : لا تتكلمي كثيرا . . .

كسينيا : لا تعلميني ! يا ييجور فاسيليفيتش ، لقد جاءت زوبونوفا .

بوليتشوف : شورا ، هلا دعوت ضيوفك الى هنا بعد قليل . (شورا تخرج .) حسنا ، نادي زوبونوفا هذه !

كسينيا : لحظة واحدة فقط . كنت أريـد أن أقول لك أن ألكسندرا توطد صداقتها مع ابن عم أندريه ، ذلك الفتى الرذيل . . . وتستطيع التأكد بنفسك من أنه لا يصلح لها . لقد أدخلنا الى بيتنا شحاذا مرة ، فانظر الآن كيف يتصرف مع الجميع على حد سواء .

بوليتشوف : يا أكسينيا ، أنت أشبه بحلم رديء - حقا !

كسينيا : هيا أهنّي ، اذا شئت ! انما ينبغي لك أن تمنعها من الغزل بتياتين ذلك .

بوليتشوف : وماذا أيضا ؟
كسينيا : ميلانيا باقية هنا . . .
بوليتشوف : ولِمَ ؟
كسينيا : وقعت في بعض المتاعب . لقد هاجم الفارون من الخدمة العسكرية الدير ، وقتلوا بقرة ، وسرقوا فأسين ، ورفشا ، وربطة من الحبال . من الواضح أن المصاعب ستتالى ! وحتى دونات ، ذلك الذى يقوم بحراسة الغابات لنا ، انه يؤوي بعض الشخصيات المريبة . وهم يعيشون في كوخ في منطقة قطع الأشجار . . .
بوليتشوف : لاحظت أنني عندما أحب امرءا فالجميع يمقتونه اذن .
كسينيا : لعلك تتصالح معها ؟
بوليتشوف : مع ميلانيا ؟ ولماذا ؟
كسينيا : اسمع . كنت أقصد أن . . . صحتك . . .
بوليتشوف : حسنا . . . سوف أصالحها . وسأقول لها : يقول الرب «واغفر لنا ما علينا» .
كسينيا : كن لطيفا معها . . . (تخرج)
بوليتشوف (يهمهم) : «واغفر لنا ما علينا ، كما نغفر نحن لمن لنا عليه» . . . كذب وخداع . . . يا للشياطين !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : أبي ، سمعت أمي تحدثك عن ستيبان تياتين . . .

بوليتشوف : نعم . أنت تسمعين كل شيء ، وتعرفين كـــل شيء . . .

فارفارا : تياتين شاب متواضع ، وهو لن يطلب بائنة كبيرة من ألكسندرا ، وهو يصلح لها كثيرا .

بوليتشوف : أنت كثيرة الاهتمام ، أليس كذلك ؟

فارفارا : كنت أرقبه مليا .

بوليتشوف : مـــن الذى تهتمين بـــه في الواقـــع ؟ آه ، يا لكم . . . من شياطين منازل !

(تدخل ميلانيا وكسينيا ، تتبعهما تاييسيا التي تتوقف عند العتبة)

بوليتشوف : حسنا ، يا مالاشا ؟ فلنتصالح ؟

ميلانيا : هذا أفضل . يالك من مشاغب ! تهين الجميع دون سبب أو مبرر . . .

بوليتشوف : «واغفر لنا ما علينا» ، يا مالاشا !

ميلانيا : ليس المقصود ما علينا وما لنا . كفاك معاكســة ! أنظر الى ما يجري في العالـــــم . فهذا القيصر – ظلّ المسيح – أُسقط عن عرشه . أتدري ما معنى هذا ؟ هذا يعني أن اللّه أغرق شعبه في الظلمة والفوضى ؛ لقد جنوا خوفا ، وهـــم يحفرون الأخاديد والحفر تحت أقدامهم ذاتها . ولقد ثار الأوباش ، فالنسوة الفلاحات في كوبوسوفو صحن في وجهي أنهنّ يشكلن الشعــــب المواطن : «أزواجنـــــا ، الجنود ، هم الشعب !» هل

يعجبك هذا ؟ وهل سمعت يومـــا أن الجنود يعتبرون الشعب ؟

كسينيا : هذا ما كان ياكوف لابتيف يقوله دائما . . .

ميلانيا : لقد جرّد محافظ المقاطعة من سلطته ، وحلّ مكانه اوسمولوفسكي ، كاتب العدل .

بوليتشوف :هذه معدة سمينة أخرى .

ميلانيا : قال المطران نيكاندر نهار البارحة : «نحن على عتبة حوادث مشؤومة فاجعة . أيمكن أن تتولى السلطـــة المدنية الحكم ؟ لقد كانت الشعوب ، منذ عهد التوراة ، محكومة باليد المسلّحة بالسيف والصليب» . . .

فارفارا : لم يكونوا يعبدون الصليب زمن التوراة . . .

ميلانيا : أمسكي لسانك ، أنت أيتها الآنسة الذكية . . . ان العهد الجديد والعهد القديـــم مرتبطان في كتاب مقدس واحد ، أليس كذلك ؟ والصليب هو السيف ! وأعتقد أن المطران يعرف أكثر مما تعرفين ما الذى كان يعبد ومتى . أنتم أصحاب المطامح تفرحون لسقوط القيصر عن العرش . حذار من أن يتحول فرحكم الى دموع مرّة لاذعـــة . . . بودي التحدث وايــاك حديثـا خاصـا ، يا ييجور .

بوليتشوف : وننتهي الى شجار من جديد ؟ لا بأس ، نستطيع أن نثرثر قليلا ، انما فيما بعد . فالمرأة الشافية آتية الآن ، وأنا أريد أن تتحسن حالي ، يا مالاشا .

ميلانيا : زوبونوفا شافية مشهورة . ولا يدانيهـــا الأطباء اطلاقا ! وأنا في مكانك أجرب بروكوبي المبارك أيضا .

بوليتشوف : ذلك الذى يناديه الصبية الصغار بروبوتي ؟ سمعتهم يقولون انه مشعوذ .

ميلانيا : لا ، يا الهي ! كيف تجرؤ على التفوّه بمثل هذا الكلام ؟ يجب أن تستقبله .

بوليتشوف : حسنا ، فليأت بروبوتي أيضا . فأنا أشعر ببعض التحسّن هذا النهار . . . ما عدا ساقيّ . . . وكأني أشعر بسرور ما ، فكل شيء يبدو في عينيّ مضحكا . . . أدخلي الساحرة الطبيبة ، يا أكسينيا . . .

(كسينيا تخرج)

ميلانيا : آه ، يا ييجور ، لا يزال فيك الكثير من ذلك !

بوليتشوف : هذه هي القضية . . . الشيء الكثير .

كسينيا (داخلة) : تقول انه يجب أن يغادر الجميع الغرفة .

ميلانيا : حسنا ، فلنخرج اذن .

(الجميع يغادرون الغرفة . يجلس بوليتشوف وهو يبتسم ساخرا ، ماسحا على صدره وخاصرته . تدخل زوبونوفا . تلوي فمها خلسة ، لكن بشكل كاف كي يلحظه المرء – وتنفخ جهة اليمين ، ويدها اليمنى ضاغطة على قلبها ، بينا تخفق بيدها اليسرى مثل زعنفة السمكة . ومن ثم تنتصب جامدة ، وتمرّ بيدها اليمنى على وجهها .)

بوليتشوف : ماذا تفعلين – أتصلين للشياطين ؟

زوبونوفا (في نغمة غنائية) : ايه ، أيتها الأمراض المؤلمة للدم والجسد ! ألا اخرجي ودعي خادم اللّه في سلام ! منذ هذا اليوم ومنذ هذه الساعـــة ، أطردك بكلماتي الجبارة الى أبد الآبدين . نعمت مســـاء ، يا صاحب السعادة المقدسة ، المدعو ييجوري !

بوليتشوف : أسعـــدت مساء ، يا عمتي ! أكنت تطردين الشياطين ؟

زوبونوفا : يا الهي ، كلا – هل يمكن للانسان أن يتعامـــل معهم ؟

بوليتشوف : يمكنه ، ان كان لا بدّ من ذلك ! فالكهنـــة يصلّون الى اللّه ، ولكنك لست من الكهنة ، ولذا لا بدّ أنك تصلين للشياطين .

زوبونوفا : آه ، ما هذه الكلمات المخوفة التي تنطق بها ؟ الحمقى وحدهم يقولون اني أتعامل مع الشرير .

بوليتشوف : في هذه الحال لانفع منك ، يا عمتي . لقد صلى الكهنة الى اللّه من أجلي ، لكنه رفض أن يمدّ لي يد العون .

زوبونوفا : لا ريب أنك تمزح ، أيها الرجل العزيز . فأنت تقول هذا لأنك لا تؤمن بي .

بوليتشوف : كان يمكن أن أؤمن بك او جئتني راسا من قبل الشياطين . ولكنه بلغك ، بالطبع ، انني انسان فظ ، وأنني قاس مع الناس ، وانني نهم أعبد المال . . .

زوبونوفا : سمعت هذا ، الا أنني لا أصدق أنك ستبخل عليّ بشيء قليل من مالك العظيم .

بوليتشوف : انني خاطئ كبير ، يا امرأة ، والله لا يريد أن تكون لي به علاقة . لقد تخلى الله عن ييجور بوليتشوف . وهكذا ، اذا لم تكوني صديقة للشياطين فيفضل أن تذهبي وتجهضي مومسات البلدة . هذه هي تجارتك ، ها ؟

زوبونوفا : آه ، صحيح اذن ما يقال عنك - انك انسان مشاكس ؟

بوليتشوف : حسنا ، أية أكاذيب كنت ستسردين الآن ؟ انطقي بها !

زوبونوفا : ما تعلّمت الكذب قط . هيا أخبرني الآن بما تعاني من آلام ، كيف هي وأين موضعها .

بوليتشوف : في البطن . يؤلمني كثيرا . . ههنا بالضبط .

زوبونوفا : اليك حقيقة الأمر . . . لكن لا تفه بنبسة واحدة مما سأقول .

بوليتشوف : لن أقول . لا تخافي .

زوبونوفا : ثمة أمراض صفر وأمراض سود ، والمرض الأصفر يمكن أن يشفيه حتى الطبيب ، أما المرض الأسود فيعجز الكاهن أو الراهب عن طرده ! المرض الأسود يتأتى من الشرير ، وليس ثمة غير علاج واحد له . . .

بوليتشوف : يقتل أو يشفي ، ها ؟

زوبونوفا : انه علاج باهظ الثمن .

بوليتشوف : بالطبع . لقد خمّنت ذلك .
زوبونوفا : هذه قضية لا بدّ لك فيهـــــا من التعامل مـــع الشرير .
بوليتشوف : مع ابليس نفسه ؟
زوبونوفا : حسنا ، ليس معه مباشرة ، وانما . . .
بوليتشوف : وهل تستطيعين ذلك ؟
زوبونوفا : لكن – اياك أن تتفوه بنبسة واحدة لأي شخص كان . . .
بوليتشوف : اذهبي الى الجحيم ، يا عمتي !
زوبونوفا : تمهّل لحظة . . .
بوليتشوف : طيري من هنا . والا ناولتك . . .
زوبونوفا : أصغ لي . . .
جلافيرا (من المدخل) : لقد أمرك بالذهاب ، أفلم تسمعي ؟
زوبونوفا : ما بالكم ، أيها الناس ؟
بوليتشوف : اطرحيها خارجا !
جلافيرا : هيا من هنا – وتدّعين أنك ساحرة !
زوبونوفا : أنت الساحرة أنظري الى سحنتك هذه . . . آه ، أنت . . ألا فلتحرما أنتما الاثنين من النوم والراحة !

(تخرج المرأتان)

بوليتشوف (يرنو حواليه ، ثم يتنهد تنهدة قصيرة) : فو !

(الراهبة ميلانيا وكسينيا تدخلان)

ميلانيا : أفلم ترق لك زوبونوفا – أفلم ترضك ؟

(يحملق بوليتشوف في وجهها بصمت)

كسينيا : أنها حادة المزاج ، هي الأخرى ! لقد امتدحوها كثيرا ، فتكبّرت وتعجرفت .
بوليتشوف : ما قولك ، يا مالاشا – أأصيب اللـّه مرة بألم في المعدة ؟
ميلانيا : لا تك أحمق . . .
بوليتشوف : لا بدّ أن المسيح أصيب كثيرا بآلام في معدته – فقد كان يعيش على الأسماك .
ميلانيا : كفى هذا ، يا ييجور . أتحاول اغاظتي ؟

(تعود جلافيرا)

جلافيرا : تريد زوبونوفا أن ندفع لها أتعابها .
بوليتشوف : أعطيها شيئا ، يا أكسينيا ! اصفحي عني ، يا مالاشا ، فأنا تعب – سأذهب الى غرفتي . ليس ثمة ما يرهق قواك أكثر من التحدث الى الحمقى . والآن ، يا جلاشا، ساعديني . . .

(جلافيرا تقوده خارجا . تعود كسينيا وتتطلّع الى أختها مستفسرة)

ميلانيا : انه يتظاهر بالجنون . يتظاهر . . .
كسينيا : أتظنين ؟ أشكّ في هذا . . .
ميلانيا : ذلك لا يهمّ . فليمثل دوره . وسينقلب هذا كله ضدّه في النهاية ، فيما اذا نقضت وصيّته في المحكمة ، فستكون تاييسيا شاهدة اذن ، وهنالك زوبونوفـــا أيضا ، والأب بافلين ، وعازف البوق – كثيرون من الناس ! نستطيع أن نثبت أن الرجل لم يكن سليـــم العقل عندما كتب وصيته . . .
كسينيا : أوه ، لا أعرف في الحقيقة ماذا أفعل . . .
ميلانيا : ولهذا أعلمك ما تفعلين ! هه ، أنت . . لقد تعجلت الزواج جدا ! وأنا أخبرتك أن تتزوجي من باشكين .
كسينيا : تذكرتِ . . . كان هذا قبل زمن بعيد ! وكان يبجور مثل النسر – وأنت نفسك حسدتني .
ميلانيا : من ؟ أنا ؟ هل جننت ؟
كسينيا : آه ، حسنا ، ما الفائدة من نبش الماضي الآن ؟
ميلانيا : فلتغمرنا الرحمة ! تقول انني حسدتها ! أنا ؟
كسينيا : وماذا عن بروكوبي ؟ لعله لا ينبغي ذلك ؟
ميلانيا : لماذا – لا ينبغي ؟ بعدما بعثنا في طلبه واتفقنا على جميـــع الترتيبات ؟ لا تتدخلي في الأمر . اذهبـــي وحضريه ، ثم عودي به الى هنا . تاييسيا !

(تدخل تاييسيا من المدخل)

ميلانيا : نعم ؟

تاييسيا : لم أكتشف شيئا .

(تغادر كسينيا الغرفة)

ميلانيا : لماذا ؟
تاييسيا : رفضت أن تقول شيئا .
ميلانيا : ماذا تعنين برفضت أن تقول شيئا ؟ كان يجب أن تنتزعي ذلك منها .
تاييسيا : حاولت ، فزأرت كالقطة – وهي تشتم الجميع .
ميلانيا : ماذا قالت ؟
تاييسيا : نعتتهم جميعا بالمحتالين .
ميلانيا : لماذا ؟
تاييسيا : قالت انكم تحاولون أن تدفعوا بالرجل الى الجنون .
ميلانيا : أقالت ذلك لك ؟
تاييسيا : كلا ، بل قالته لبروبوتي الأبله المبارك .
ميلانيا : وماذا قال ؟
تاييسيا : هو يقول أشياء مضحكة دون انقطاع .
ميلانيا : أشياء مضحكة ؟ أيتها الحمقاء ، أنت ! انه رجل مبارك ، وهو يتنبأ ، يا غبية ! اجلسي في المدخل واياك والحركة من هناك . . . أكان أحد آخر في المطهى ؟
تاييسيا : كان موكي هناك . . .
ميلانيا : حسنا ، اذهبي الآن . . . (تمضي الى باب غرفة بوليتشوف وتقرعه .) ييجور ، بروكوبي المبارك هنا . (كسينيا وباشكين تقودان بروبوتي المبارك الى الغرفة ، وهو

يلبس صندلا من ليف النبات ، وقميصـــا طويلا من الكتان الأسمر يصل حتى رسغيه ، ومجموعة من الصلبان النحاسية المختلفة وبعض الايقونات تتدلى على صدره . مظهره مخيـف نوعا ما : فشعره كثيف متلبّد ، ولحيته طويلة ، ضيقة قليلة الكثافة ، وحركاته تشنجية مهتزة .)

بروبوتي : آه ، يالرائحة التبغ الحادة ! الروح تختنق !
كسينيا : ليس من يدخن هنا ، يا أبتاه . . .

(بروبوتي يقلّد صفير ريح الشتاء)

ميلانيا : رويدك ، انتظر حتى يجيء . .
بوليتشوف (يخرج من غرفته تقوده جلافيرا) : أنظري اليه !
بروبوتي : لا تخف ! لا خوف عليك ! (يقلد صفير الريـح)
كل شيء فان ، كل شيء مقدّر له الموت ! لقد تسلق
جريشا السلّم ، ومارس المداواة ، وبلغ السقف –
فجروه الى الجحيم .
بوليتشوف : أعتقد أنه يقصد راسبوتين !
بروبوتي : لقد خلع القيصر عن العرش ، والمملكة تفنى ،
والملوك الذين يسودون الآن هم الخطيئة والموت !
الريح تنبح ، والعاصفة تزمجر . (يقلّد صفير الريح ،
يشير الى جلافيرا بعصاه) الشيطان يقف الى جانبـــك
بشكل امرأة ، فاطردها !
بوليتشوف : سأطردك أنت ! لا تدع لسانك يتهوّر بك . من
علّمه هذا ، أنت يا ميلانيا ؟

ميلانيا : عجبا ! أيمكن أن يلقّن المجنون شيئا ؟
بوليتشوف : يبدو أن ذلك ممكن . . .

(تهرع شورا هابطة السلّم تتبعها أنظونينا وتياتين . ومن ثم يهبط آل زفونتسوف وآل دوستيجاييف . بروبوتي يرسم اشارات على الأرض وفي الهواء بعصـــاه ، دون أن يتفوه بحرف . ومن ثم ينتصب متفكرا وقد حنى رأسه)

شورا (تهرع الى والدها) : ما هذا الذي يجري ؟ مسرحيـــة أخرى ؟
ميلانيا : أمسكي لسانك !
بروبوتي (وكأنه يتكلم بصعوبـــة) : لا نوم للهراطقـــة ، والساعـــة تدقّ ، تيك ، تيك ، توك ! لكن اللّه أراد . . فأنا أحمق منقاد . . وأكثر الأنام . . داسوني بالأقدام . . آي ، آي ! وصوّت الشيطان ، فردّ ملك الجان ، بصوت يصمّ الآذان ! وانتصف الليل ، وصاح الديك ، كوكو – كو ك . . . . و ! . . . تيك ، توك ، توك – تيك . . . هذه هي نهاية الهراطيك !
بوليتشوف : لا بأس ! علموك وأحسنوا تعليمك . . .
ميلانيا : لا تقاطعه ، يا ييجور ، لا تقاطعه !
بروبوتي : ماذا ينبغي أن نفعل ؟ ماذا نقول للناس ؟
أنطونينا (بأسف) : أوه ، ليس هو مخيفا على الاطلاق !
بروبوتي : قتلوا قملة وقبروها . . لعله يجب أن نرقص ؟ تعالوا اذن ولنرقص ، وليضـــجّ صوت المسرّات !

(يضرب الأرض بقدميه ويهمهم بلطف بادىء الأمر ، ثم بصوت عال وهو يقفـــــز .) أستاروث ، ساباتان ، أسكافات ، ايدوميز ، نفرويز . . . ان لم تستطع فقد انهيت ، كاراتيلي – بر ، بر ، اضرب رأسك عـــلى القبر ! هاي . . . بف ، بف – ماذا تهف ؟ هو كــــي بوكي ، أرضي شوكي ! ابليس يلعب بفريستــــه ، أوه ، اي ! انه يذهب الى الأمام ، في الأرض وحيدا بين الأنام . وأطبقت عليه زاخاتاما الساحرة ، وأخذتــــه على ظهرها تلك العاهرة . لا فرار من الخطيئة ومــــن العهر . وييجور ولد من أجل القهر . . .

شورا (صارخة) : أطردوه !

بوليتشوف : ما بالكم ؟ هل تريدون اخافتي ؟

زفونتسوف : يجب أن يوضع حدّ لهذه الفظاعة . . .

(تركض جلافيرا صوب بروبوتي ، فيلوّح ، دون أن يتوقف عن الدوران ، بعصاه في وجهها)

بروبوتي : هيك ، هوك ، هاك ، أيها الشرير أدر وجهك !

(تياتين يختطف العصا من بروبوتي)

ميلانيا : ماذا تفعل ؟ وكيف تجرؤ ؟

شورا : أبي ، اطردهم جميعا من هنا . . . فيمَ لا تنطـــق بحرف ؟

بوليتشوف (بحركة ضجرة من يده) : انتظري . . انتظري . . .
(يجلس بروبوتي على الأرض ، يزعق ويصيح .)
ميلانيا : اياك أن تمسّه ! انه في غيبوبة ، في اشراق !
دوستيجاييف : يجب أن ينال صفعة رنانة على عنقه ، أيتها الأم ميلانيا ، من أجل مثل هذه الاشراقات .
زفونتسوف : انهض ! واخرج من هنا – حالا !
بروبوتي : ايه . . أين ؟ (يقلد صوت الريح النابحة)

(كسينيا تبكي)

ايليزافيتا : ما أذكاه ! كأنما يغني بصوتين !
بوليتشوف : أخرجوا من هنا ، جميعكم . . لقد تثاءبتم مـــا طاب لكم ههنا . .
شورا (تضرب الأرض بقدمها أمام نصف المجنون) : أخرج من هنا ، أيها الدجال ! ستيبان ، اطرده !
نياتين (يمسك بروبوتي من مؤخرة عنقه) : تعال معي ، أيها الرجل القديس ، هيا انهض ! (يخرجان .)
تاييسيا : لم يكن مخيفا اليوم . انه يتقن ذلك أكثر من قطرة من الفودكا . . .
ميلانيا : من طلب اليك الحديث ؟ (تضرب الفتاة على وجهها .)
زفونتسوف : يجب أن تخجلي من نفسك !
ميلانيا : أخجل ؟ أمامك أنت ؟
فارفارا : هدئي روعك ، يا عمتي . .
كسينيا : يا للسماوات ! . . ما هذا كله ؟

(شورا وجلافيرا ترقدان بوليتشوف على الأريكة ، بينا يقف

دوستيجاييف يرمقه مليا . آل زفونتسوف يقودان كسينيا وميلانيا الى الخارج)

دوستيجاييف (الى زوجته) : الأفضل أن نذهب الى البيت ، ياليزا ، فلنمضِ الى البيت ! فبوليتشوف مضطرب المزاج كثيرا . . . والمظاهرة بدأت ، ومن الافضل ان ننضمّ اليها .

ايليزافيتا : أفلم تكن طريقته في تقليد الريح رائعة ؟ لم أكن أتصوّر ذلك .

بوليتشوف (الى شورا) : هذا كلّه من صنع الراهبة . . .

شورا : هل أنت متضايق ؟

بوليتشوف : هي . . نوع من الخدمة الجنائزية . . على انسان حي .

شورا : قل لي . . هل أنت متضايق ؟ أأرسل في طلب الطبيب ؟

بوليتشوف : كلا ، لا حاجة لذلك . لقد قال ذلك بنفسه – ذلك المهرج – حين تكلم عن المملكة : هل سمعته ؟ «لكن اللّه أراد . . فأنا أحمق منقاد» .

شورا : يجب أن تنسى هذا كله . . .

بوليتشوف : لسوف ننساه ، بكل تأكيد ! اذهبي وانظري ماذا يفعلون هناك . احرصي على ألا يصيبوا جلافيرا بأذية أو ضرر . . ما هذا الغناء في الشارع ؟

شورا : لا تنهض !

بوليتشوف : لسوف تفنى مملكة النتانة . لا أستطيع أن

أرى شيئا . . (ينهض ، ويستند الى الطاولـــة بيده الواحدة ، ويحك عينيه .) «فليأت ملكوتك !» . . أي ملكوت ؟ يا للحيوانات ! ملكوت . . «أبانا الذى . .» لا . . هذا لا يصح أي صنف من الآباء أنت بالنسبة اليّ اذا كنت حكمت عليّ بالموت ؟ ولماذا ؟ الجميع يموتون ؟ لماذا ؟ لا بأس ، فليموتوا –لكن لِمَ أموت أنا ؟ (يترنّح) حسنا ؟ ما هذا ، يا ييجور ؟ (يصيح بصوت أجش) شورا . . جلاشا . . الطبيب ! هِـيْ ، أين أنتم ، أيها الشياطين ! ييجور . . . بوليتشوف . . ييجور !

(شورا وجلافيرا وتياتين وتاييسيـا يسرعون الى بوليتشوف الذى يتمايل ويترنح ، ثم يسقط في أحضانهـــم . الغناء في الشارع يزداد علوا ووضوحـــا . جلافيرا وتياتين يسندان بوليتشوف . شورا تهرول الى النافذة وتفتحها . الغناء يندفع في الغرفة)

بوليتشوف : ما هذا ؟ الجنّاز من جديد ! شورا ! من هذا ؟
شورا : تعال هنا ، تعال وانظر !
بوليتشوف : آه ، شورا . . .

ستار

KMH